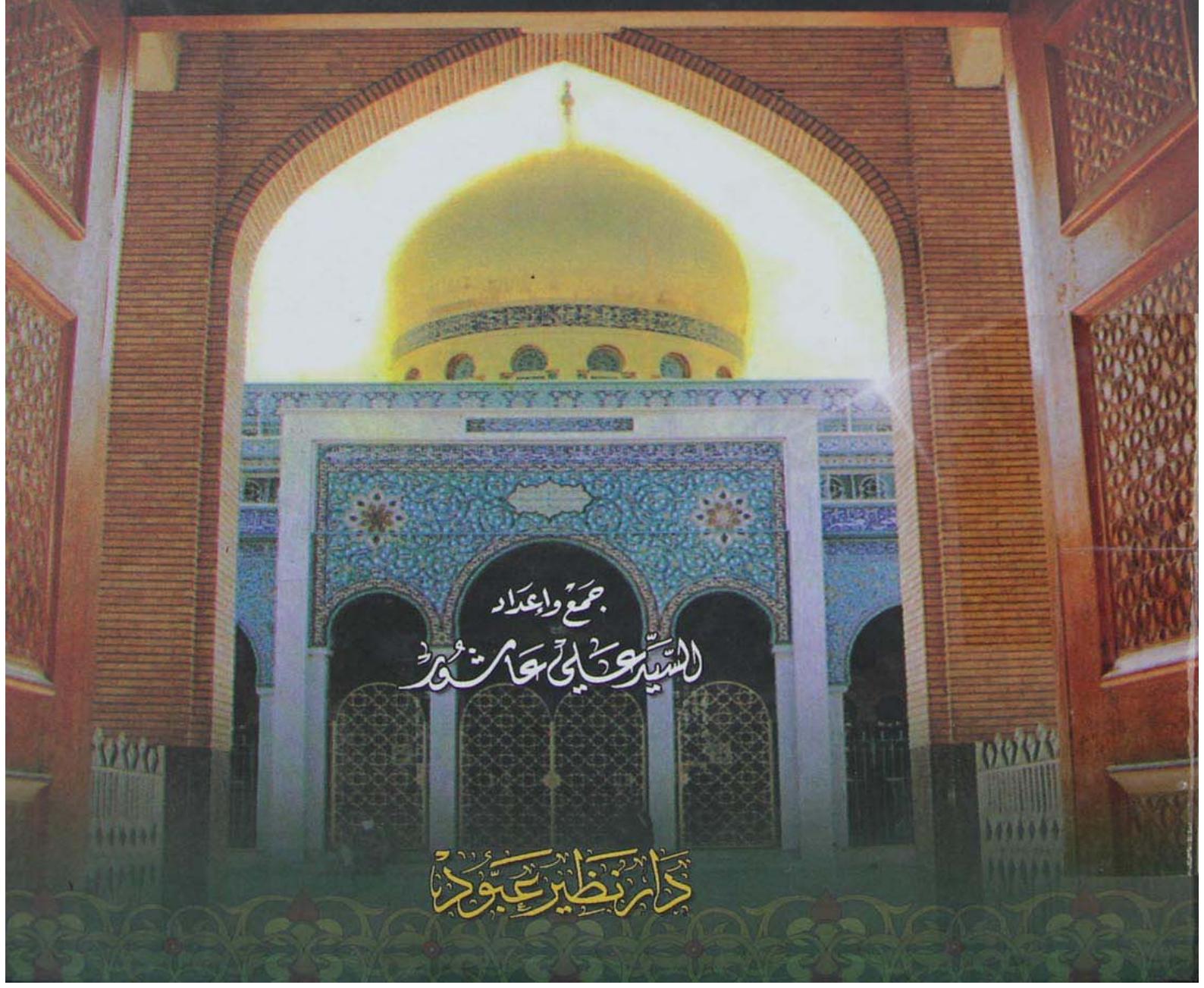


مَوْسُوْدُ عَلِيٰ تَعَالٰی

بَرْ دِینِ الْكَبِيرِ عَلِيٰ تَعَالٰی

بِحَنْتَ اَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٰ بْنَ اَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ



جَمْعُ وَابْعَادَ
السَّيِّدِ عَلِيٰ عَمَّشَوْدَ

ذَارِ نَظَرِ عَبْوَدَ

مَوْلَىُّ الْعِزَّةِ

شَرِيكُ الْكَبِيرِ

بِنْتُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ

عَلَيْهِ تَعَالَى طَالِبُ بَلَيْهِ وَالسَّلَامُ

(٥)

مَوْسُوْنَةِ هَدَا
بِرَبِّيْكَ الْكَبِيرِ هَوْ
عَلَيْكَ لَكَمَا هَوْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
عَلَيْكَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ

زَيْنَبُ فِي حَكْمَةِ لَادَنَ

جَمْعُ قَاعِدَادَ
السَّيْرُ عَلَى تِحْرِيزِ

ابْنِهِ الْخَامِسَ

مكتبة الروضة العيدري
الرقم ٧٧٩٥٩
التاريخ ٢٠١٤/٦/٣

دَارُ الظَّيْرُونَ

جميع حقوق الطبع محفوظة
للناشر

الطبعة الأولى

١٤٢٩ - ٢٠٠٩ م

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب، أو احتزال
مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو، وبأي طريقة
سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية أو بالتصوير أو بالتسجيل
أو خلاف ذلك، إلا بموافقة الناشر على ذلك كتابة ومقديما.

كتاب نظر عيوننا

هاتف: ٠٣/٧٨٠٠٠٧ - ٩٣٦٧٧٢ - ٠٩/٩٣٦٧٧٢ - بيروت لبنان

العقيلة زينب بنت علي في كربلاء

مقدمة:

قال المفيد: قال علي بن الحسين عليه السلام: إني جالس في تلك الليلة التي قتل أبي في صبيحتها وعندى عمتي زينب تمرضني^(١) إذا اعتزل أبي في خباء له، وعنده فلان مولى أبي ذر الغفارى وهو يعالج سيفه ويصلحه أبي يقول:

يَا دَهْرَ أَفْ لَكَ مِنْ خَلِيلٍ * كَمْ لَكَ بِالاَشْرَاقِ وَالْأَصْرَى
مِنْ صَاحِبِ وَطَالِبِ قَتِيلٍ * وَالدَّهْرُ لَا يَقْنَعُ بِالْبَدِيلِ
وَإِنَّمَا الْأَمْرُ إِلَى الْجَلِيلِ * وَكُلُّ حَيٍ سَالِكٌ سَبِيلِي
فَأَعْادَهَا مَرْتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثَةٍ حَتَّى فَهَمْتَهَا وَعْلَمْتَ مَا أَرَادَ فَخْنَقْتَنِي الْعَبْرَةُ، فَرَدَدْتَهَا
وَلَزَمَتِ السُّكُوتُ، وَعْلَمْتَ أَنَّ الْبَلَاءَ قَدْ نَزَلَ، وَأَمَا عَمْتِي فَلَمَّا سَمِعْتَ مَا سَمِعْتَ وَهِيَ
امْرَأَةٌ وَمِنْ شَأْنِ النِّسَاءِ الرِّقَةُ وَالْجَزْعُ، فَلَمْ تَمْلِكْ نَفْسَهَا أَنْ وَثِبَتْ تَجْرِيَ ثُوبَهَا وَهِيَ
حَاسِرَةٌ حَتَّى اَنْتَهَتْ إِلَيْهِ، وَقَالَتْ: وَأَنْكَلَاهُ لَيْتَ الْمَوْتَ أَعْدَمْنِي الْحَيَاةَ، الْيَوْمَ مَاتَتْ
أُمِّي فَاطِمَةَ، وَأَبِي عَلِيِّي وَأَخِي الْحَسَنِ يَا خَلِيفَةَ الْمَاضِيِّ، وَشَمَالَ الْبَاقِيِّ.

فَنَظَرَ إِلَيْهَا الْحَسَنُ عليه السلام وَقَالَ لَهَا: يَا أَخْتَهُ لَا يَذْهَبِنَ حَلْمُكَ الشَّيْطَانُ! وَتَرَقَّرَتْ
عَيْنَاهُ بِالْدَّمْوعِ، وَقَالَ: لَوْ تَرَكَ الْقَطَا لِيَلَّا لَنَامَ^(٢).

(١) يقال: مرضه - من باب التفعيل إذا أحسن القيام عليه في مرضه وتتكلل بمداواته، قال في اللسان: جاءت فعلت هنا للسلب وإن كانت في أكثر الأمر إنما تكون للإثبات.

(٢) القطا: جمع قطة وهي طائر في حجم الحمام صوته قطاطقا وهذا مثل. قال الميداني: نزل عمرو بن مامدة على قوم من مراد، فطرقوا له ليلا فأثاروا القطا من أماكنها فرأتها =

فقالت: يا ولتناه أفتغتصب نفسك اغتصابا؟^(١) فذلك أقرح لقلبي وأشد على نفسي، ثم لطمت وجهها، وهوت إلى جيها وشفتها وخرت مغشية عليها.

فقام إليها الحسين عليه السلام فصب على وجهها الماء وقال لها: يا أختاه اتقى الله وتعزى بعزاء الله، واعلمي أن أهل الأرض يموتون، وأهل السماء لا يبقون، وأن كل شيء هالك إلا وجه الله تعالى، الذي خلق الخلق بقدرته، ويعيث الخلق ويعدون وهو فرد وحده، وأبى خير مني وأخي خير منيولي ولكل مسلم برسول الله أسوة، فعزاها بهذا ونحوه، وقال لها: يا أختاه إني أقسمت عليك فأبرى قسمي لا تشقي علي جيما، ولا تخمشي علي وجهها، ولا تدعني علي بالويل والثبور إذا أنا هلكت، ثم جاء بها حتى أجلسها عندي.

ثم خرج إلى أصحابه فأمرهم أن يقرن بعضهم بيوتهم من بعض وأن يدخلوا الأطناط بعضها في بعض، وأن يكونوا بين البيوت فيقبلوا القوم في وجه واحد والبيوت من ورائهم، وعن أيمانهم، وعن شمائلهم قد حفت بهم، إلا الوجه الذي يأتيهم منه عدوهم، ورجع عليه السلام إلى مكانه فقام ليتلته كلها يصلّي ويستغفر ويذعن ويضرع، وقام أصحابه كذلك يصلّون ويدعون ويستغفرون^(٢).

وروي في كامل الزيارة للشيخ الفقيه أبي القاسم جعفر بن محمد ابن قولويه طاب ثراه، قال: حدثني نوح بن دراج، قال: حدثني قدامة بن زايدة، عن أبيه، قال:

= امرأته طائرة، فنبهت المرأة زوجها فقال: إنما هي القطا، فقالت: لو ترك القطا ليلاً لنام. يضرب لمن حمل على مكرره من غير ارادته، وقيل غير ذلك. راجع مجمع الأمثال ج ٢ ص ١٧٤ تحت الرقم ٣٢٣١.

(١) لا أرى لذكر الاغتصاب وجهاً والظاهر أنه تصحيف وال الصحيح: «افتغتصب نفسك احتساباً». يقال: احتسب ولدًا له: إذ أمات ولده كبيرة، ومثله احتسب نفسه: إذا عدّها شهيداً في ذات الله، وقد مر في ص ١٣٨ من ج ٤٤ كلام الحسن بن علي عليهما السلام «اللهم إني احتسب نفسي عندك» فراجع.

(٢) كتاب الارشاد ص ٢١٥ و ٢١٦ و بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ٤٥ / ١ - ٣.

قال علي بن الحسين عليه السلام : بلغني يا زايدة ألك تزور قبر أبي عبد الله الحسين عليه السلام أحيانا ، فقلت : إن ذلك لكما بلغك ، فقال لي : ولماذا تفعل ذلك ، ولك مكان عند سلطانك الذي لا يحتمل أحدا على محبتنا وتفضيلنا ، وذكر فضائلنا والواجب على هذه الأمة من حقنا ؟

فقلت : والله ما أريد بذلك إلا الله ورسوله ، ولا أحفل بسخط من سخط ، ولا يكبر في صدري مكروه ينالني بسيبه ، فقال : والله إن ذلك لكذلك ؟

فقلت : والله إن ذلك لكذلك ، يقولها ثلاثا وأقولها ثلاثا ، فقال : أبشر ثم أبشر ثم أبشر ، فلا خبرتك بخبر كان عندي في النخب المخزون : فإنه لما أصابنا في الطف ما أصابنا ، وقتل أبي عليه السلام ، وقتل من كان معه من ولده وإخوته وسائر أهله ، وحملت حرمه ونساؤه على الأقتاب ، يراد بنا الكوفة ، فجعلت أنظر إليهم صرعى ولم يواروا ، فعظم ذلك في صدري ، واشتد لما أرى منهم قلقي ، فكادت نفسي تخرج ، وتبيّنت ذلك مني عمتي زينب الكبرى بنت علي عليه السلام ، فقالت : ما لي أراك تجود بنفسك يا بقية جدي وأبي وإخوتي ؟

فقلت : وكيف لا أجزع وأهلع وقد أرى سيدتي وإخوتي وعمومتي وولد عمي مصرعين ومضرجين بدمائهم ، مرملين بالعراء ، مسلبين ، لا ي肯ون ولا يوارون ، ولا يرج عليهم أحد ، ولا يقربهم بشر ، كأنهم أهل بيت من الدليل والخزر .

فقالت عليه السلام : لا يجزعنك ما ترى ، فوالله إن ذلك لعهد من رسول الله صلوات الله عليه وسلم إلى جدك وأبيك وعمك ، ولقد أخذ الله ميثاق أناس من هذه الأمة لا تعرفهم فراعنة هذه الأمة وهم معروفون في أهل السماوات ، إنهم يجمعون هذه الأعضاء المتفرقة فيوارونها ، وهذه الجسوم المضربة ، وينصبون لهذا الطف علما لقبر أبيك سيد الشهداء لا يدرس أثره ، ولا يغور رسمه ، على كرور الليالي والأيام ، وليجهدن أئمة الكفر وأشیاع الضلاله في محوه وتطهيره ، فلا يزداد أثره إلا ظهورا وأمره إلا علوا .

فقلت : وما هذا العهد ، وما هذا الخبر ؟

فقالت عليه السلام : نعم حدثني أم أيمن : أن رسول الله صلوات الله عليه وسلم زار منزل فاطمة عليها السلام في

يوم من الأيام، فعملت له حريرة، وأتاه علي ﷺ بطبق فيه تمر، ثم قالت أم أيمن: فأتيتهم بعض فيه لبن وزيد، فأكل رسول الله وعلي وفاطمة والحسن والحسين من تلك الحريرة، وشرب رسول الله وشربوا من ذلك اللبن، ثم أكلوا وأكل من ذلك التمر والزبد، ثم غسل رسول الله ﷺ يده وعلي ﷺ يصب عليها الماء، فلما فرغ من غسل يده مسح وجهه، ثم نظر إلى علي ﷺ وفاطمة والحسن والحسين نظرا عرضا به السرور في وجهه.

ثم رمق بطرفه نحو السماء مليا ثم وجه وجهه نحو القبلة وبسط يديه يدعوا، ثم خر ساجدا، وهو ينشج فأطال النشوج وعلا نحببه وجرت دموعه، ثم رفع رأسه وأطرق إلى الأرض ودموعه تقطر كأنها صوب المطر، فحزنت فاطمة وعلي والحسن والحسين وحزنت معهم، لمارأينا من رسول الله وهبناه أن نسأله حتى إذا طال ذلك قال له علي وقالت له فاطمة: ما يبكيك يا رسول الله لا أبكى الله عينيك؟ وقد أفرح قلوبنا مانرى من حalk؟

فقال: يا أخي سرت بكم - وقال مزاحم بن عبد الوارث في حديثه ههنا^(١) - فقال: يا حبيبي إني سرت بكم سرورا ماسرت مثله قط وإنني لأنظر إليكم وأحمد الله على نعمته علي فيكم إذ هبط علي جبرئيل فقال: يا محمد إن الله تبارك وتعالى اطلع على مافي نفسك، وعرف سرورك بأخيك وابنته وسبطيك، فأكمل لك النعمة، وهناك العطية بأن جعلهم وذرياتهم ومحببيهم وشيعتهم معك في الجنة لا يفرق بينك وبينهم: يحيون كما تحب^(٢) ويعطون كما تعطى حتى ترضى وفوق الرضا على بلوى كثيرة تناولهم في الدنيا، ومكاراة تصيبهم بأيدي اناس يتحلون ملتك ويزعمون أنهم من امتك، براء من الله ومنك خطأ خطأ وقتل قتلا، شتى مصارعهم نائية قبورهم، خيرة

(١) روى تلميذ ابن قولويه الحسين بن أحمد بن المغيرة هذا الحديث بستدين أحدهما ما ذكره المصنف في المتن والأخر: قال: وقد كنت استفدت هذا الحديث بمصر عنشيخ أبي القاسم على بن محمد بن عبدوس الكوفي كذلك ما نقله عن مزاحم بن عبد الوارث البصري بإسناده، عن قدامة بن زائدة، عن أبيه زائدة، عن علي بن الحسين عليه السلام.

(٢) تحبون كما تحبب، خ لـ. والحباء هو العطاء بلا من.

من الله لهم ولك فيهم، فاحمد الله عزوجل على خيرته وارض بقضائه، فحمدت الله ورضيت بقضائه بما اختاره لكم.

قال لي جبرائيل: يا محمد إن أخاك مضطهد بعده، مغلوب على أمتك، متغوب من أعدائك، ثم مقتول بعده، يقتله أشر الخلق والخلية وأشقي البرية، يكون نظير عاشر الناقة، بيلد تكون إليه هجرته، وهو مغرس شيعته وشيعة ولده، وفيه على كل حال تكثر بلواهم ويعظم مصابهم، وإن سبطك هذا - وأومن بيده إلى الحسين عليه السلام - مقتول في عصابة من ذريتك وأهل بيتك وأخيار من أمتك، بضفة الفرات، بأرض يقال لها كربلاء، من أجلها يكثر الكرب والبلاء على أعدائك وأعداء ذريتك في اليوم الذي لا ينقضي كريه ولا تفني حسرته، وهي أطيب بقاع الأرض وأعظمها حرمة، يقتل فيها سبطك وأهله، وأنها من بطحاء الجنة، فإذا كان اليوم الذي يقتل فيه سبطك وأهله وأحاطت به كتائب أهل الكفر واللعنة تزعزعت الأرض من أقطارها، ومادت الجبال وكثير اضطرابها، واصطفقت البحار بأمواجها، وماجت السماوات بأهلها، غضبا لك يا محمد ولذريتك، واستعظاما لما ينتهك من حرمتك، ولشر ما تكافى به في ذريتك وعترتك، ولا يبقى شيء من ذلك إلا استاذن الله عزوجل في نصرة أهلك المستضعفين المظلومين الذين هم حجة الله على خلقه بعده، فيوحى الله إلى السماوات والأرض والجبال والبحار ومن فيهم: إني أنا الله الملك القادر الذي لا يفوته هارب ولا يعجزه ممتنع، وأنا أقدر فيه على الانتصار والانتقام، وعزتي وجلالي لأعذبن من وتر رسولي وصفيفي وانتهك حرمته وقتل عترته ونبذ عهده وظلم أهل بيته، عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين، فعند ذلك يضج كل شيء في السماوات والأرضين بلعن من ظلم عترتك واستحل حرمتك.

إذا برزت تلك العصابة إلى مضاجعها تولى الله قبض أرواحهم بيده.

وهو بط إلى الأرض ملائكة من السماء السابعة، معهم آنية من الياقوت والزمرد مملوءة من ماء الحياة وحلل من حلل الجنة، وطيب من طيب الجنة، فغسلوا جثثهم بذلك الماء، وألبسوها الحلل، وحنطوها بذلك الطيب، وصلى الملائكة صفا صفا عليهم ثم يبعث الله قوما من أمتك لا يعرفهم الكفار، لم يشركوا في تلك الدماء بقول

ولا فعل ولا نية فيوارون أجسامهم، ويقيمون رسمًا لقبر سيد الشهداء بتلك البطحاء، يكون علماً لأهل الحق وسبباً للمؤمنين إلى الفوز، وتحفه ملائكة من كل سماء مائة ألف ملك في كل يوم وليلة، ويصلون عليه، يسبحون الله عنده ويستغفرون الله لزواجه، ويكتبون أسماء من يأتيه زائراً من امتك متقربياً إلى الله وإليك بذلك، وأسماء آبائهم وعشائرهم وبلدانهم، ويوسّعون في وجوههم بميسّر نور عرش الله «هذا زائر قبر خير الشهداء وابن خير الأنبياء» فإذا كان يوم القيمة سطح في وجوههم من أثر ذلك الميسّر نور تغشى منه الأبصار يدل عليهم ويعرفون به وكأني بك يا محمد بيني وبين ميكائيل، وعلى أمامنا، ومعنا من ملائكة الله ما لا يحصى عدده، ونحن نلتقط من ذلك الميسّر في وجهه من بين الخلائق حتى ينجيهم الله من هول ذلك اليوم وشدائد، وذلك حكم الله وعطاؤه لمن زار قبرك يا محمد أو قبر أخيك أو قبر سبطيك، لا يريد به غير الله عزوجل، وسيجد أناساً ممن حقت عليهم من الله اللعنة والسخط، أن يغورسـم ذلك القبر ويمحو أثره، فلا يجعل الله تبارك وتعالى لهم إلى ذلك سيلـاً.

ثم قال رسول الله ﷺ: فهذا أبكاني وأحزنني.

قالت زينب: فلما ضرب ابن ملجم لعنه الله أبي ﷺ ورأيت عليه أثر الموت منه قلت له: يا أبه، حدثني أم أيمن بكذا وكذا، وقد أحببت أن أسمعه منك، فقال: يا بنتي الحديث كما حدثتك أم أيمن، وكأني بك وبنساء أهلك سبايا بهذا البلد أذلاء خاشعين، تخافون أن يتخطفكم الناس، فصبرا صبرا، فوالذي فلق الحبة ويرأ النسمة ما لله على ظهر الأرض يومئذ ولـيـ غـيرـ مـحـبـكـمـ وـشـيعـتـكـمـ.

ولقد قال لنا رسول الله حين أخبرنا بهذا الخبر أن إبليس في ذلك اليوم يطير فرحاً في جو الارض كلها في شياطينه وعفاريته فيقول: يامعشر الشياطين قد أدركنا من ذرية آدم الطلبة، وبلغنا في هلاكهم الغاية، وأورثناهم النار إلا من اعتمد بهذه العصابة فاجعلوا شغلكم بشكك الناس فيهم، وحملهم على عداوتهم، وإغرائهم بهم وأوليائهم، حتى تستحكم ضلالـةـ الخـلـقـ وكـفـرـهـمـ، ولا ينجـوـ منـهـمـ نـاجـ، ولـقـدـ صـدـقـ عليهم إبليس وهو كذوب، أنه لا ينفع مع عداوتكم عمل صالح، ولا يضر مع محبتكم وموالاتكم ذنب غير الكبار.

قال زائدة: ثم قال الإمام علي بن الحسين عليه السلام بعد أن حدثني بهذا الحديث: خذه إليك ما لو ضربت في طلبه آباط الإبل حولاً لكان قليلاً^(١).

قال المجلسي: العس القدح العظيم قوله «رمق بطرفه» أي نظر ونسج الباكى ينسج بالكسر نشيجاً إذا غص بالبكاء في حلقة، من غير انتخاب، وخطبه يخطبه ضربه شديداً، والبعير بيده الأرض وطنه شديداً والقوم بسيفه جلدتهم، وضفة النهر بالكسر جانبها والتزعزع التحرك، وكذلك الميد، والاصطفاق الاضطراب يقال: الريح تصفق الأشجار فتصطفق، والموتور الذي قتل له قتيل فلم يدرك بدمه، تقول منه وتره يتراه وترا وتره، وضرب آباط الإبل كنایة عن الركض والاستعمال فان المستعجل يضرب رجلية يابطي الإبل، يعود، أي لوسافرت سفراً سريعاً في طلبه حولاً.

أقول: هذا الجزء والذي يليه فحصص للحوادث التي جرت مع زينب عليها السلام ابداءً من بدء مسيرها من المدينة برفقة أخيها الحسين عليهما السلام وحتى عودتها إلى المدينة.



(١) بحار الأنوار: ٤٦ / ١٧٩ - ١٨٤، وكمال الزيارات: ٢٥٧ - ٢٦٦، وكتاب العقيلة والفواطم / الشاكري: ٥٨.

بدء المسير إلى كربلاء

خروج زينب من مكة

انطلق موكب العقيلة زينب بنت علي عليها السلام مع أخيها الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام من مكة المكرمة يوم التروية يوم الثامن من ذي الحجة عام ٦٠ هـ متوجهاً إلى العراق^(١).

وقد خيم الأسى على أهل مكة فلم يبق أحد إلا حزن لخروج أهل البيت عليهم السلام وأسف على مفارقتهم خاصة محبיהם ومواليهم^(٢).



(١) تاريخ الطبرى ٣/٢٩٣ - ٢١١.

(٢) الصواعق المحرقة ١١٨.

زينب عليها السلام في منطقة الخزيمية

وأصل الإمام الحسين عليه السلام و أصحابه وأهل بيته طريقهم حتى وصلوا «الخزيمية» وهي أحدى منازل الحج فآقام فيها يوماً وليلة ليستريح من جهد الطريق وعناء السفر فلما أصبح أقبلت إليه أخته زينب بنت علي بن أبي طالب عليها السلام فقالت: يا أخي! ألا أخبرك بشيء سمعته البارحة؟

قال الحسين عليه السلام وما ذاك؟

قالت بنيرات مشفوعة بالبكاء: إني سمعت هانفاً يقول:
الَا يَا عَيْنَ فَا حَتَّفَ لِي بِجَهَدِ
فَمَنْ يَبْكِي عَلَى الشَّهِداءِ بَعْدِي
عَلَى قَوْمٍ تُسْوِقُهُمُ الْمَنَايَا
بِمَقْدَارٍ إِلَى انجازِ وعْدِي

قال الحسين عليه السلام: يا اختاه كل الذي قضى فهو كائن^(١).

ثم تابع الموكب الزينبي مسيره من الخزيمية متوجهاً إلى قرية نينوى والحزن مخيّم على النساء والأطفال من مشقة السفر.



(١) بحار الأنوار: ٤٤/٣٧٢، ومناقب آل أبي طالب: ٩٥/٤..

الركب الزييني في قرية نينوى

ثم واصل الركب الحسيني مسيره حتى وصل إلى قرية من أرض العراق تدعى «نينوى» والتلقى في هذا المكان رسول عبيد الله بن زياد، والتي يزيد بن معاوية على الكوفة، بالحر بن يزيد الرياحي وناوله رسالة من ابن زياد جاء فيها:

(اما بعد.... فجتمع بالحسين حين يبلغك كتابي، ويقدم عليك رسولي فلا تنزله إلا بالعراء في غير حصن وعلى غير ماء وقد أمرت رسولي ان يلزمك فلا يفارفك حتى يأتيني بانفاذك أمري والسلام)

عندئذ قال الحسين ﷺ للحر بن يزيد الرياحي: إذا دعنا ننزل نينوى أو الغاضريات أو شفية.... فمنعهم الحر وقال: لا استطيع.

وانبرى زهير بن القين فقال للإمام الحسين ﷺ:

«انه لا يكون بعد ماترون إلا ما هو أشد منه... يابن رسول الله ان قتال هؤلاء الساعة أهون علينا من قتال من يأتينا من بعدهم، مما لا قبل لنا به»

قال الحسين ﷺ: ما كنت لأبدأهم بقتال.

وتتابع زهير حدثه قائلاً:

«سر بنا إلى هذه القرية حتى ننزلها فإنها حصينة - وهي على شاطئ الفرات - فان منعونا قاتلناهم فقاتلهم أهون علينا من قتال من يجيء بعدهم»

وسأل الإمام عن اسم تلك الأرض؟



فقالوا له: إنها تسمى العقر، فتشاء منها وراح يقول: اللهم إني أعوذ بك من العقر^(١).

وأصر الحر على الإمام الحسين أن ينزل في ذلك المكان ولا يتتجاوزه، ولم يجد الإمام بدا من التزول في ذلك المكان والتي بصره عليه والتفت إلى أصحابه فقال لهم: ما اسم هذا المكان؟.

قالوا: كربلاء.

ودمعت عيناه وراح يقول:

«اللهم إني أعوذ بك من الكرب والبلاء»

ثم حدث أصحابه قائلاً:

«هذا موضع كرب وبلاء، هنا مناخ ركابنا، ومحط رحالنا وسفك دمائنا»^(٢)

الإقامة في كربلاء:

- اقام الحسين عليه السلام وصحبه البررة في كربلاء يوم الخميس في الثاني من المحرم سنة ٦١ هـ^(٣).

- لما كان من الغد قدم عليه عمر بن سعد بن أبي وقاص من الكوفة في أربعة آلاف^(٤).

- لما نزل القوم بالحسين عليه السلام وأيقن أنهم قاتلوه، قام في أصحابه خطيباً فحمد الله واثنى عليه ثم قال:

«أما بعد: فقد نزل ما قد ترون وأن الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها، ولم يبق منها إلا صباة الإناء وخسيس عيش كالمرعى الويل، إلا ترون إلى

(١) الكامل في التاريخ ٤/٥٢.

(٢) الفتوح، لابن الأعثم ٥/٩٤.

(٣) الفتوح، لابن الأعثم ٥/٩٤.

(٤) وقعة الطف، لابي مختلف ١٨٠.

الحق لا يعمل به والى الباطل لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن في لقاء الله، فإني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برمًا»^(١).

لما انهى خطابه تقدم إليه أصحابه معلنين له الولاء المطلق واستعدادهم التام على الشهادة، وهم يضربون أروع الأمثلة للتضحية والفداء من أجل العدل والحق وكان أول من تكلم من أصحابه زهير بن القين فقد قال: «سمينا يابن رسول الله ﷺ مقالتك، ولو كانت الدنيا لنا باقية، وكنا فيها مخلدين لأثرنا النهوض معك على الاقامة فيها»^(٢).

- انبرى رجل آخر من الأصحاب وهو برير فخاطب الإمام قائلاً:

«يابن رسول الله لقد من الله بك علينا ان نقاتل بين يديك وتقطع فيك أعضاؤنا، ثم يكون جدك شفيعنا يوم القيمة»^(٣).

وقال نافع بن هلال وهو من أنصار الحسين وأصحابه:

«..... فوالله ما اشفقنا من قدر الله، ولا كرهنا لقاء ربنا، وانا على نياتنا وبصائرنا نوالي من والاك ونعاذ من عاداك»^(٤).

لما اشتد العطش من الحسين ﷺ وأصحابه، وكادوا أن يموتونا عطشا دعا أخاه العباس بن أبي طالب، فبعثه في ثلاثين فارساً وعشرين راجلاً وبعث معهم عشرين قربة فأقبلوا في جوف الليل حتى دنو من الفرات فقال عمرو ابن الحاجاج: من هذا؟

فقالوا: رجال من أصحاب الحسين ﷺ يريدون الماء، فاقتلونا على الماء قتالاً عظيماً، فكان قوم يقتلون وقوم يملؤون القرب حتى ملؤوها فقتل من أصحاب عمر بن

(١) حلية الأولياء ٢/٣٩.

(٢) اللهو في قتل الطفوف، لابن طاووس ٣٤.

(٣) اللهو في قتل الطفوف، لابن طاووس ٣٤ - ٣٥.

(٤) المصدر السابق.

سعد جماعة ولم يقتل من أصحاب الحسين أحد ثم رجع القوم إلى معسكرهم وشرب الحسين من القرب ومن كان معه^(١).

ارسل الحسين عليه السلام إلى عمر بن سعد أني أريد ان أكلمك فالقني الليلة بين عسكري وعسكرك، فخرج إليه عمر بن سعد في عشرين فارساً وأقبل الحسين في مثل ذلك، فلما التقى أمر الحسين عليه السلام أصحابه فتحوا عنه وبقي معه أخيه العباس وابنه علي الأكبر وأمر عمر بن سعد أصحابه بمثل ذلك ففاوضه الحسين عليه السلام طويلاً، واقنعه بأن يمسك الطرفان عن القتال ويرجع الحسين عليه السلام من حيث أتى أو يذهب إلى حيث يريد من بلاد الله، وكتب عمر ابن سعد بذلك إلى عبيد الله بن زياد فأبى ابن زياد ذلك وكتب إليه:

«أما بعد فإني لم ابعثك إلى الحسين عليه السلام لتكتف عنه ولا لتطاوله، ولا لتمتحنه السلامه والبقاء ولا لتعقد له عندي شافعاً، وانظر فإن نزل الحسين وأصحابه على الحكم، واستسلموا فابعث بهم إلي سلماً، وان أبوا فازحف إليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم فإنهم لذلك مستحقون، فإن قتل الحسين فأوطئ الخيل صدره وظهره^(٢)».



(١) الفتوح لابن الأعصم ١٠٢/٥، وقعة الطف، لابي مخلف ١٩١ - ١٩٢.

(٢) تاريخ الطبرى ٣١/٣، الكامل في التاريخ ٤/٥٥.



الموكب الزينبي في مكة

و قبل أن يغادر موكب الإمام مكة انطلق إلى البيت الحرام فأدوا له التحية بطوافه و صلاته ، وكان ذلك هو الوداع الأخير لهم وأدوا فيه فريضة صلاة الظهر ثم خرجوا توابكهم الملائكة وتبارك بهم ..

فإنهم البقية من إرث السماء على الأرض.

لم تطق نفس الحسين عليه السلام ولا أخته زينب عليها السلام ولا بقية الأصحاب أن يمرروا بالقرب من مكة ولا يعرجوا على بيت الله الحرام والأبواء مدفن فاجدتهم خديجة بنت خويلد رضي الله عنها.





السلطة تلاحق المكوك الزينبي

ولم يبعد موكب الإمام كثيراً عن مكة حتى لاحقته مفرزة من الشرطة بقيادة يحيى بن سعيد، فقد بعثها والي مكة عمرو بن سعيد لصد الإمام عن السفر إلى العراق، وجرت بينهما مناوشات، وقد عجزت الشرطة عن المقاومة وكان ذلك الإجراء فيما نحسب صورياً، فقد خرج الإمام في وضع النهار من دون أية مقاومة تذكر... لقد كان الغرض من إرسال هذه المفرزة العسكرية بإبعاد الإمام عن مكة، والتحجير عليه في الصحراء حتى يسهل القضاء عليه بسهولة، وأكده ذلك الدكتور عبد المنعم ماجد بقوله: «ويبدو لنا أن عامل يزيد على الحجاز لم يبذل محاولة جدية لمنع الحسين من الخروج من مكة إلى الكوفة بسبب وجود كثير من شيعته في عمله، بل لعله قدر سهولة القضاء عليه في الصحراء بعيداً عن أنصاره، بحيث إنبني هاشم فيما بعد اتهموا يزيد بأنه هو الذي دس إليه الرجال حتى يخرج»^(١).



حوادث على الطريق إلى العراق

❖ فرع السيدة زينب

روي أنه لما سارت قافلة الإمام حتى انتهت إلى (الخزيمية) وهي إحدى منازل الحج فأقام فيها الإمام يوماً وليلة ليستريح من جهد الطريق وعناء السفر، وقد خفت إليه أخته الحوراء عقيلةبني هاشم، وهي تجر ذيلها وقلبها الزاكي يتقطع من الأسى والحزن، وهي تقول له بنبرات مشفوعة بالبكاء إنني سمعت هانقاً يقول:

ألا ياعين فاحتفل بي بجهد

فمن يبكي على الشهداء بعدي

على قوم تسوقهم المانيا

بمقدار إلى إنجاز وعدي

قال لها أبي الضيم:

«يا أختاه كل الذي قضي فهو كائن».

لقد أراد من شقيقته أن تخلد إلى الصبر، وأن تقابل الخطوب والرزايا برباطة جأش وعزم حتى تقوى على أداء رسالته^(١).



انتهاء المسير والوصول الى كربلاء

✿ نزول ركب آل الرسول ﷺ ارض كربلاء ✿

قال السيد مرتضى العسكري : قال : فلما أصبح نزل فصلى الغداة ثم عجل الركوب فأخذ يتياسر بأصحابه يريد ان يعرقلهم فباتيه الحر بن يزيد فيردهم فجعل إذا ردهم إلى الكوفة رداً شديداً امتنعوا عليه فارتفعوا فلم يزالوا يتتسايرون حتى انتهوا إلى نينوى المكان الذي نزل به الحسين .

قال : فإذا راكب على نجيب له وعليه السلاح متذکب قوساً مقبلاً من الكوفة فوقفوا جميعاً يتظارونه فلما انتهى إليهم سلم على الحر بن يزيد وأصحابه ولم يسلم على الحسين ﷺ وأصحابه فدفع إلى الحر كتاباً من عبيد الله بن زياد فإذا فيه أما بعد فجعجم بالحسين حين يبلغك كتابي ويقدم عليك رسولي فلا تنزله إلا بالعراء في غير حصن وعلى غير ماء وقد أمرت رسولي أن يلزمك ولا يفارقك حتى يأتيني باتفاقك أمرى السلام .

قال : فلما قرأ الكتاب ، قال لهم الحر : هذا كتاب الأمير عبيد الله بن زياد يأمرني فيه أن أجعجم بكم في المكان الذي يأتيني فيه كتابه ، وهذا رسوله ، وقد أمره أن لا يفارقني حتى انفذ رأيه وأمره ، فنظر إلى رسول عبيد الله ، يزيد بن زياد بن المهاصر أبو الشعثاء الكندي ثم الهندي فعن له فقال : أمالك بن النمير البدى ؟

قال : نعم ، وكان أحد كندة .

فقال له يزيد بن زياد : ثكلتك أمك ! ماذا جئت فيه قال : وما جئت فيه أطعت أمامي ووقيت بيبيعتي ، فقال له أبو الشعثاء : عصيت ربك وأطعت امامك في هلاك

نفسك، كسبت العار والنار، قال الله عز وجل: «وجعلنا منهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيمة لا ينصرون» فهو إمامك.

قال: وأخذ الحر بن يزيد القوم بالنزول في ذلك المكان على غير ماء ولا في قرية فقالوا دعنا ننزل في هذه القرية يعنون نينوى أو هذه القرية، يعنون الغاضرية أو هذه الأخرى يعنون شفية فقال لا والله ما أستطيع ذلك هذا رجل قد بعث إلى عينا فقال له زهير بن القين يا بن رسول الله إن قتال هؤلاء أهون من قتال من باتينا من بعدهم فلعمري ليأتينا من بعد من ترى ما لا قبل لنا به، فقال له الحسين ما كنت لأبدأهم بالقتال.

وفي الاخبار الطوال بعده: فقال له زهير: فه هنا قرية بالقرب منا على شط الفرات، وهي في عاقول^(١) حصينة، الفرات يحدها إلا من وجه واحد.

قال الحسين عليه السلام: وما اسم تلك القرية؟

قال: العقر.

قال الحسين عليه السلام: نعود بالله من العقر^(٢).

فقال الحسين للحر: سر بنا قليلاً، ثم ننزل.

فسار معه حتى أتوا كربلاء، فرفق الحر وأصحابه أمام الحسين ومنعوهم من المسير، وقال: انزل بهذا المكان، فالفرات منك قريب.

قال الحسين: وما اسم هذا المكان؟

قالوا له: كربلاء.

قال: ذات كرب وبلاء، ولقد مر أبي بهذا المكان عند مسيرة إلى صفين، وأنا

(١) عاقول الوادي ما أوجع منه، والأرض العاقول التي لا يهتدى إليها.

(٢) مكان قرب كربلاء من نواحي الكوفة.

معه، فوقف، فسأل عنه، فأخبر باسمه، فقال: «ه هنا محطة ركابهم، وهذا هنا مهرجانهم»، فسئل عن ذلك، فقال: «لقل لآل بيت محمد، ينزلون هنا».

وقبض قبضة منها فشمها وقال: هذه والله هي الأرض التي أخبر بها جبرئيل رسول الله أني أقتل فيها، أخبرتني أم سلمة، قالت: كان جبرئيل عند رسول الله ﷺ وأنت معه فبكى.

فقال رسول الله: دعى ابني، فتركتك فأخذك روضنك في حجره.

فقال جبرئيل: أتجبه؟

قال: نعم، قال: فإن أمتك ستقتلها، وإن شئت أريتك تربة أرضه التي يقتل فيها، قال: نعم فبسط جبرئيل جناحه على أرض كربلاء فأراه إياها^(١).

وفي رواية: لما أحبط بالحسين بن علي، قال: ما اسم هذه الأرض؟
قيل: كربلاء.

فقال: صدق النبي ﷺ أنها أرض كرب وبلاء^(٢).

قال المؤرخون: ثم أمر بائقاله فحطت بذلك المكان يوم الأربعاء غرة محرم
سنة ٦١ هـ^(٣).

أو يوم الخميس الثاني من المحرم^(٤).

(١) أوردتها بلفظ سبط ابن الجوزي في تذكرة خواص الأمة ١٤٢، وروى هذه المحاورة الدينوري في الاخبار الطوال ص ٢٥٢ - ٢٥٣، وتاريخ الخميس ٢٩٧/٢، ومجمع الزوائد ١٩٢/٩.

(٢) ترجمة الحسين بمعجم الطبراني ح - ٤٦، وكنز العمال ٢٦ - ٢٦٦، ومجمع الزوائد ١٩٢ ذيل الرواية التي أوردناها آنفاً بلفظ سبط ابن الجوزي.

(٣) الدينوري في الاخبار الطوال ص ٢٥٣.

(٤) الطبراني ٢٢٢/٦، وابن كثير ١٧٤/٨، وأنساب الأشراف للبلذاري ص ١٧٦، وارشاد المفید ص ٢١٠.

ولما نزل كربلاء كتب إلى ابن الحنفية وجماعة من بنى هاشم: أما بعد: فكان
الدنيا لم تكن، وكأن الآخرة لم تزل^{(١)(٢)}.



-
- (١) كامل الزيارة لابن قولويه ص ٧٥ باب ٢٣.
وقد استفاد بعد الإمام الحسين الحسن البصري منه وكتب به إلى عمر بن عبد العزيز كما
يبدو، وراجع الأغاني ط. ساسي ١٠٥/٨.
- (٢) معالم المدرستين للعسكرى: ٣/٧٨.

منع الماء عن عترة الرسول ﷺ

روى الطبرى عن حميد بن مسلم الأزدي قال جاء من عبيد الله بن زياد كتاب إلى عمر بن سعد: أما بعد فحل بين الحسين وأصحابه وبين الماء ولا يذوقوا منه قطرة كما صنع بالتقى الزكي المظلوم أمير المؤمنين عثمان بن عفان.

قال: فبعث عمر بن سعد عمرو بن الحجاج على خمسمائة فارس فنزلوا على الشريعة وحالوا بين حسين وأصحابه وبين الماء ان يسقو منه قطرة وذلك قبل قتل الحسين بثلاث قال: ونازله عبد الله بن أبي حصين الأزدي وعداده في بجيلة فقال: يا حسين! ألا تنظر إلى الماء كأنه كبد السماء! والله لا تذوق منه قطرة حتى تموت عطشا.

فقال الحسين ﷺ: اللهم اقتله عطشا ولا تغفر له أبداً!

قال حميد بن مسلم: والله لعدته بعد ذلك في مرضه فوالله الذي لا إله إلا هو لقد رأيته يشرب حتى ييغرس ثم يعود فيشرب حتى ييغرس فما زال ذلك دأبه حتى لفظ غصته يعني نفسه.





موضع الخيام

قال القرشي : ونصبت خيام أهل البيت ﷺ في البقعة الطاهرة التي لا تزال آثارها باقية إلى اليوم يقول السيد هبة الدين الشهريستاني : « وأقام الإمام في بقعة بعيدة عن الماء تحيط بها سلسلة ممدودة ، وربوات تبدأ من الشمال الشرقي متصلة بموضع باب السدرة في الشمال ، وهكذا إلى موضع الباب الزيتني إلى جهة الغرب ، ثم تنزل إلى موضع الباب القبلي من جهة الجنوب وكانت هذه التلال المتقاربة تشكل للناظرين نصف دائرة ، وفي هذه الدائرة الهلالية حوصل ريحانة الرسول ﷺ ونفى صديقنا الاستاذ السيد محمد حسن الكليدار أن يكون الموضع المعروف بمخيّم الحسين هو الموضع الذي خط فيه الإمام اثقاله ، وإنما يقع المخيّم بمكان ناء بالقرب من المستشفى الحسيني ، مستنداً في ذلك إلى أن التخطيط العسكري المتبع في تلك العصور يقضي بالفصل بين القوى المتحاربة بما يقرب من مليون ، وذلك لما تحتاجه العمليات الحربية من جولات الخيل وغيرها من مسافة ، كما أن نصب الخيام لا بد أن يكون بعيداً عن رمي السهام والنبل المتبادل بين المحاربين واستند أيضاً إلى بعض الشواهد التاريخية التي تؤيد ما ذهب إليه .

وأكبرظن ان المخيّم إنما هو في موضعه الحالي ، أو يبعد عنه بقليل وذلك لأن الجيش الأموي المكثف الذي زحف لحرب الإمام لم يكن قبالة إلا معسكر صغير عبر عنه الحسين بالأسرة ، فلم تكن القرى العسكرية متكافئة في العدد حتى يفصل بينها بعميلين أو أكثر ..

لقد أحاط الجيش الأموي بمعسكر الإمام حتى إنه لما أطلق ابن سعد السهم الذي أندى به بداية القتال ، وأطلق الرماة من جيشه سهامهم لم يبق أحد من معسكر



الإمام إلا أصابه سهم حتى اخترقت السهام بعض أزر النساء، ولو كانت المسافة بعيدة لما أصيبت نساء أهل البيت بسهامهم. وما يدعم ما ذكرناه أن الإمام الحسين عليه السلام لما خطب في الجيش الأموي سمعت نساوه خطابه فارتقت أصواتهن بالبكاء، ولو كانت المسافة بعيدة لما انتهى خطابه إليهن، وهناك كثير من البوادر التي تدل على أن المخيم في وضعه الحالي.



وصول الموكب الرزيني إلى كربلاء

وأقام موكب العترة الطاهرة في كربلاء يوم الخميس المصادف اليوم الثاني من المحرم سنة (٦١ هـ) وقد خيم الرعب على أهل البيت، وأيقنوا بنزل الرزء القاسم، وعلم الإمام مغبة الأمر، وتجلت له الخطوب المفزعة، والأحداث الرهيبة التي سيعانيها على صعيد كربلاء، ويقول المؤرخون: إنه جمع أهل بيته وأصحابه فألقى عليهم نظرة حنان وعطف وأيقن أنهم عن قريب سوف تقطع أوصالهم، فاغرق في البكاء. ورفع يديه بالدعاء ينادي ربه، ويشكو إليه ما ألم به من عظيم الرزايا والخطوب قائلاً:

«اللَّهُمَّ إِنَّا عَذْرَةُ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَخْرَجْنَا وَطَرَدْنَا وَأَزْعَجْنَا عَنْ حَرَمِ جَدِّنَا، وَتَعَدَّتْ بَنُو أُمَّةٍ عَلَيْنَا اللَّهُمَّ فَخُذْ لَنَا بِحَقِّنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ».

ثم أقبل على أولئك الأبطال فقال لهم:

«الناس عبيد الدنيا والذين لعن على ألسنتهم يحوطونه ما درت معاشهم فإذا محسوا بالبلاء، قلل الديانون».

يا لها من كلمات مشرفة حكت واقع الناس في جميع مراحل التاريخ فهم عبيد الدنيا في كل زمان ومكان، وأما الدين فلا ظل له في أعماق نفوسهم، فإذا دهمتهم عاصفة من البلاء تنكروا له وابتعدوا منه... نعم ان الدين بجوهره إنما هو عند الإمام الحسين وعند الصفوة من أهل بيته وأصحابه قد امتزج بمشاعرهم، وتفاعل مع عواطفهم فانبروا إلى ساحات الموت ليرفعوا شأنه، وقد أعطوا بتضحيتهم دروساً لأجيال الدنيا في الولاء الباهر للدين.

وبعد حمد الله والثناء عليه خاطب أصحابه قائلاً:

«أما بعد: فقد نزل بنا ما قد ترون... وان الدنيا قد تغيرت، وتنكرت وأدبر معروفها، ولم يبق منها إلا صباة الإناء، وخسیس عیش كالمرعى الویبل. إلا ترون إلى الحق لا يعمل به، وإلى الباطل لا ينماهی عنه ليرغب المؤمن في لقاء الله، فإني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برمًا».

لقد أدلّى بهذا الخطاب عما نزل به من المحن والبلوى، وأعلمهم أن الظروف مهما تلبدت بالمشاكل والخطوب فإنه لا يتشي عن عزمه الجبار لإقامة الحق الذي خلص له. وقد وجه عليه السلام هذا الخطاب لأصحابه لا ليستر عواطفهم، ولا ليستجلب نصرهم، فماذا يغනون عنه بعدما أحاطت به القوى المكثفة التي ملأت البيداء، وإنما قال ذلك ليشاركونه المسؤولية في إقامة الحق الذي آمن به واختاره قاعدة صلبة لنھضته الخالدة وقد جعل الموت في هذا السبيل هو الأمل الباسم في حياته الذي لا يضارعه أي أمل آخر.

ولما أنهى خطابه هب أصحابه جميعاً، وهم يضربون أروع الأمثلة للتضحية والفاء من أجل العدل والحق... وكان أول من تكلم من أصحابه زهير بن القين وهو من أفذاذ الدنيا فقد قال:

«سمعنا يا بن رسول الله عليه السلام مقالتك، ولو كانت الدنيا لنا باقية، وكنا فيها مخلدين لأثرنا النهوض معك على الإقامة فيها».

ومثلت هذه الكلمات شرف الإنسان وانطلاقه في سبيل الخير، وبلغ كلام زهير في نفوس الأنصار أقصى الرضا، وحکى ما صمموا عليه من الولاء للإمام والتfanی في سبيله.. وانبأ بطل آخر من أصحاب الإمام وهو بریر الذي ارخص حياته في سبيل الله فخاطب الإمام:

«يا بن رسول الله لقد منَّ الله بك علينا أن نقاتل بين يديك، وتقطع فيك أعضاؤنا، ثم يكون جدك شفينا يوم القيمة».

لقد أیقن بریر أن نصرته للإمام فضل من الله عليه، ليفوز بشفاعة رسول الله عليه السلام .. وقام نافع وهو يقرر نفس المصير الذي اختاره الأبطال من إخوانه قائلاً:



«أنت تعلم أن جدك رسول الله ﷺ لم يقدر أن يشرب الناس محبته، ولا أن يرجعوا إلى أمره ما أحب، وقد كان منهم منافقون بعده بالنصر، ويضمرون له الغدر بلقونه بأحلى من العسل، ويخلفوه بأمر من الحنظل، حتى قبضه الله إليه، وان أباك علياً كان في مثل ذلك فقوم قد أجمعوا على نصره وقاتلوا معه الناكثين والقاسطين والممارقين حتى أتاه أجله فمضى إلى رحمة الله ورضوانه. وأنت اليوم عندنا في مثل تلك الحالة، فمن نكث عهده، وخلع بيته فلن يضر إلا نفسه والله مغن عنه فسر بنا راشداً معافى، مشرقاً إن شئت أو مغرياً، فوالله ما أشفقنا من قدر الله، ولا كرهنا لقاء ربنا، وإنما على نياتنا وبصائرنا نوالى من والاك ونعادى من عاداك»

وتكلم أكثر أصحاب الإمام بمثل هذا الكلام، وقد شكرهم الإمام على هذا الاخلاص والتفاني في سبيل الله.





يوم عاشوراء

بداية الحرب

وأصدر ابن زياد أوامره المشددة بحمل أهل الكوفة في الحرب، وإرغامهم على الخوض في قتال الإمام، وقد أصدر مرسوماً - قبل أن يعسكر في النخيلة - جاء فيه «فلا يبقى رجل من العرفاء والمناقب والتجار والسكان إلا خرج فعسكر معه، وأيما رجل وجدناه بعد يومنا هذا متخلفاً عن المعسكر إلا برئت الذمة منه» وأمر بإذاعة ذلك بين الناس، وقد أوعز إلى كل من كثير بن شهاب الحارثي، ومحمد بن الأشعث، والقعقاع بن سعيد بن عبد الرحمن المنقري، وأسماء بن خارجة الفزارى، أن يطوفوا في الناس يحثونهم على الطاعة، ويحذرؤنهم من المعصية، ويخرفوهم عراقب الأمور، وقد طافوا بالكوفة وأذاعوا ما أمروا به، ثم لحقوا به في النخيلة إلا كثير بن شهاب فإنه ظل مقيماً بالكوفة يخذل الناس عن نصرة الإمام ويشيع الإرهاب والخوف على المتخلفين عن الحرب وقد ألقت الشرطة القبض على رجل من همدان قدم الكوفة يطلب ميراثاً له، فأتي به إلى ابن زياد فامر بقتله، ولما رأى الناس ذلك هرعوا إلى الحرب حتى لم يبق في الكوفة محتملاً إلا خرج إلى المعسكر في النخيلة لقد حققت هذه السياسة ما توخاه ابن زياد من حمل الناس على حرب الإمام، وقد سيطرت سيطرة تامة على الموقف، فلم يدع لأي أحد حرية ولا اختياره.

وفرض ابن زياد الرقابة الصارمة على الكوفة مخافة أن يخرج منها أحد لنصرة الإمام عليه السلام فقد بث الجواسيس والعيون، وفرض نوعاً من الأحكام العرفية كانت في منتهى القسوة، فإذا اتهم أحد بالعمل ضد سياسة الدولة ألقى عليه القبض وسيق بلا هوادة ولا رحمة إلى الإعدام أو السجون وقد كان عبد الله بن يسار يحفز الناس إلى

نصرة الإمام، وخدلان بنى أمية فعلم به ابن زياد فأمر بإلقاء القبض عليه، فأخفى نفسه وأخذت الشرطة تبحث عنه، فظفر به عبيد الله بن الحر فأتى به إلى السيدة فقتله وهو غير عبيد الله بن الحر الجعفي.

وقد وضع ابن زياد المناظر، ورتب المسالع حول الكوفة، وجعل على الحرس زجر بن قيس الجعفي، ورتب بينه وبين عسكر ابن سعد خيلاً مضمورة مقدحة فكانت كل بادرة تحدث تأتيه في الوقت.

وهربت الأكثريّة الساحقة من جيش ابن زياد من وحداتها العسكريّة وقد لاذ الكثيرون منهم بالانهزام فراراً من حرب سبط رسول الله ﷺ ويقول البلاذري: إن القائد يكون على ألف مقاتل لا يصل إلى كربلاء إلا ومعه ثلات مائة أو أربع مائة أو أقل من ذلك، فقد كانوا يفرون كراهة منهم لهذا الوجه لقد كانوا على يقين لا يخامرهم أدنى شك بضلالة هذه الحرب وانهم إنما يحاربون الله ورسوله، ويقاتلون من أمروا بمودته وطاعته.

ونزح الطاغية إلى النخلة فعسكر بها ومعه قطعات كبيرة من الجيش، وقد استخلف على الكوفة عمرو بن حرث، وقد بلغه أن الرجل والرجلين والثلاثة يتسللون إلى معسكر الإمام عن طريق الفرات، فأمر بضبط الجسر وحراسته فلم يترك أحداً يجوزه.

وحاول البطل الشهم عمار بن أبي سلامة الدالابي أن يغتال ابن زياد في النخلة إلا أنه لم يتمكن من ذلك نظراً للرقابة الشديدة والحرس المكثف الذي يحرسه، ولما فشل في مهمته توجه إلى الطف حتى لحق بالحسين واستشهد بين يديه.



أمان الشمر لأخوة زينب

وظن الخبيث الأبرص شمر بن ذي الجوشن أن يقنع أخوة الحسين بالعدول عن نصرة أخيهم فحمل لهم أماناً من عبيد الله بن زياد، وجاء يشتد حتى وقف أمامهم، وهتف منادياً :

«أين بنو اختنا العباس وآخوته؟».

وهبت إليه الفتية كالأسود، فقالوا له:

«ما ت يريد يا بن ذي الجوشن؟».

«لكم الأمان».

وصاحوا به وهم يتميزون من الغيظ قائلين:

«لعنك الله ولعن أمانك، أثأمتنا، وابن بنت رسول الله لا أمان له».

وولى الأئم خائباً، وقد ظن أن أخوة الإمام من طراز أصحابه الممسوخين، ولم يعلم أنهم من أفذاذ الدنيا الذين صاغوا الكرامة الإنسانية وصنعوا الفخر والمجد للإنسان.



منع الامدادات عن أهل البيت عليهم السلام

وفرض ابن سعد الحصار على أهل البيت عليهم السلام فأحاط بجميع الطرق مخافة أن يصل إليه أي إمداد من الخارج، وقد أحكم هذه الجهة حتى صار من غير الممكن أن يلتحق أي أحد بمعسكر الإمام أو يوصلهم بأي إمداد.

أقول: وما لا شك فيه أن منع الامدادات عن معسكر الإمام الحسين عليه السلام كان له أثر على سير المعركة، خاصة وجود النساء والأطفال، وهنا كانت مهمة العقبيلة زينب عليها السلام في توعية النساء وتعليمهم الصبر على قلة الطعام والشراب، وفي إسكات الأطفال.



احتلال الفرات

وأخطر عملية قام بها ابن سعد احتلاله لنهر الفرات فقد صدرت إليه الأوامر المشددة من ابن مرجانة بمنع الماء عن الإمام الحسين وأهل بيته وأصحابه فلا يذوقوا منه قطرة واحدة، كما صنع بعثمان بن عفان، وأرسل قوة عسكرية تتألف من خمسين فارس، وقيل أربعة آلاف فارس بقيادة عمرو بن الحاجج فاحتلوا جميع الشرائع والأنهر المتفرعة من نهر الفرات، وأوصدوا على الحسين وأهل بيته وأصحابه باب الورود إلى الماء.

لقد تنكر أولئك الجفاة لليد البيضاء التي أسداها الإمام على مقدمة جيوشهم التي كانت تتألف من ألف فارس بقيادة الحر لإلقاء القبض على الإمام والحاصر عليه في البداء، وكان قد بلغ بهم العطش كل مبلغ حتى أشرفوا على الهلاك، وكان باستطاعته أن يبيدهم عطشاً فأبى مروءته ورحمته أن يعاملهم بالقسوة فأمر فتیانه وهو معهم فسقاهم عن آخرهم كما أمر ب斯基 خيولهم وترشيفها على أنه كان في حاجة إلى الماء لأنه في وسط الصحراء اللاهبة، ولم يقدر أولئك الأجلاف هذه النجدة فحرمواه من الماء وحرموا من كان في كتفه من سيدات أهل البيت وأحفاد النبي (١).



(١) انظر حياة الإمام الحسين للقرشي: ٩٥.



الطبع اللثيمية

وأخذ أولئك الممسوخون يتباهون ويتفاخرون باستيلائهم على ماء الفرات وحرمان ريحانة رسول الله ﷺ منه مع النساء والأطفال. وكان لذلك أثر كبير على جيش الإمام وخوبه، بل على الأطفال والنساء. وعادت المجرمين الذين نزعت الرحمة من قلوبهم أن لا يلتفتوا إلى عطش وجياع الأطفال والنساء والمرضى، وكيف يشعروا بالحب والحنان تجاه الآخرين وقد ملؤها بالمعاصي والحدق والغل، لقد زرع الشيطان في قلوبهم كل ما يتنافى مع الإنسانية.



العثور على عين ماء

وأضر العطش بنساء وأطفال أهل البيت عليه السلام فتصارخت الأطفال، والعيال، وقام الإمام عليه السلام فأخذ فأساً وحفر حول خيمة النساء فنبعت عين ماء عذب فشربوا منها إلا أنها لم تلبث إلا قليلاً حتى غارت ونقلت الاستخبارات لابن زياد ذلك فتميز غيظاً فأرسل إلى ابن سعد رسالة جاء فيها:

«بلغني أن الحسين يحفر الآبار، ويصب الماء فيشرب هو وأصحابه فانظر إذا ورد عليك كتابي فامنعهم من حفر الآبار ما استطعت، وضيق عليهم غاية التضييق...».

وفرض ابن سعد الرقابة الشديدة على حفر الآبار، كما أحاط نهر الفرات بمزيد من الحرس والجنود مخافة أن يأتي أحد منهم فيشرب من الماء^(١).



(١) حياة الإمام الحسين عليه السلام للقرشي : ٩٦ / ٣.



القتال على الماء

والتابع الإمام كأشد ما تكون اللوعة ألمًا ومحنة حينما رأى أطفاله وأهل بيته وهم يستغيثون من الظالم القاتل، فندب أخاه وابن والده أبي الفضل العباس لتحصيل الماء فانيرى البطل العظيم، وصاحب معه ثلاثين فارسًا وعشرين راجلًا، وحملوا معهم عشرين قربة، واقتربوا بأجمعهم نهر الفرات، وقد تقدمهم نافع بن هلال المرادي، فاستقبله عمرو بن الحاجاج الزبيدي، وكان هو المسؤول عن حراسة الفرات، فقال له:

- ما جاء بك؟

- جئنا لشرب من هذا الماء الذي حلأتمونا عنه.

- اشرب هنيئًا.

- فأشرب والحسين عطشان ومن ترى من أصحابه.

- لا سبيل إلى سقي هؤلاء.. إنما وضعنا بهذا المكان لنمنعهم الماء.

ولم يحفل به أصحاب الإمام، فاقتربوا الفرات ليملأوا قريهم فثار عليهم عمرو ابن الحاجاج مع مفرزة من جنوده، والتquam معهم العباس ونافع بن هلال، ودارت بينهم معركة إلا أنه لم يقتل فيها أحد وعاد أصحاب الإمام بعد أن ملأوا قريهم من الماء وقيل إنهم لم يعودوا إلا بشيء يسير منه واروى العباس عطاشي أهل البيت وأنقذهم من الظالم، ولقب من ذلك اليوم بالسقاء وهو من أشهر ألقابه ذيوعاً، ومن أحبهها عنده^(١).



زينب في المأساة الكبرى

ولم تشاهد أمة من الأمم محنّة أوجع ولا أفعع من كارثة كربلاء، فلم تبق رزية من رزايا الدهر، ولا فاجعة من فواجع الدنيا إلا جرت على سبط رسول الله وريحانته... وقد ألهبت رزاياه العواطف حزناً وأسى وأثارت اللوعة حتى عند أقل الناس إحساساً وأقساهم قلباً وقد أثرت على الباغي الثئم عمر بن سعد فراح يبكي من أحوال ما جرى على الإمام من فوادح الخطوب.

لقد انتهكت في كارثة كربلاء حرمة الرسول ﷺ في عترته وذريته يقول الإمام الرضا علیه السلام:

«إن يوم الحسين أقرح جفوننا وأذل عزيزنا...».

ونعرض إلى فصول تلك المأساة الخالدة في دنيا الأحزان، وما رافقها من الأحداث الموجعة.





زحف الجيش

وتدافعت القوى الغادرة التي ملئت تفوسها الشريرة بالأحقاد والأضغان على العترة الطاهرة التي تبنت حقوق المظلومين والمضطهدين، وجاها من أجل إحقاق الحق.

لقد زحفت طلائع جيش ابن سعد نحو الإمام في عصر الخميس لسع خلون من شهر محرم، فقد صدرت إلى القيادة العامة الأوامر المشددة من ابن زياد بتعجيل القتال خوفاً من أن يتبلور رأي الجيش ويحدث انقسام في صفوفه، ولما زحف ذلك الجيش كان الحسين جالساً أمام بيته محبيناً بسيفه إذ خفق برأسه، فسمعت أخته عقبة بني هاشم زينب عليها السلام أصوات الرجال وتدافعهم نحو أخيها فانبرت إليه وهي فزعة مرعوبة فأيقظته فرفع الإمام رأسه فرأى أخته، فقال لها بعزم وثبات:

«إني رأيت رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه في المنام، فقال: إنك تروح إلينا...».

وذابت نفس العقبة، وانهارت قواها فلطمته وجهها وقالت بنبرات حزينة: «يا وليتها...».

والتفت أبو الفضل العباس إلى أخيه فقال له: يا أخي أتاك القوم فطلب منه الإمام أن يتعرف على خبرهم قائلاً له:

«اركب بنفسك أنت يا أخي حتى تلقاهم، فتقول لهم: ما بدا لكم، وما تريدون؟».

وأسرع أبو الفضل نحوهم، ومعه عشرون فارساً من أصحابه، وفيهم زهير ابن القين وحبيب بن مظاهر، وسألهم العباس عن زحفهم، فقالوا له:



« جاء أمر الأمير أن نعرض عليكم التزول على حكمه أو نناجزكم ».

وقفل العباس إلى أخيه يعرض عليه الأمر، وأقبل حبيب بن مظاهر على القوم فجعل يعظهم، ويدذكرهم الدار الآخرة قائلاً :

« أما والله لبئس القوم يقدمون غداً على الله تعالى ، وعلى رسوله محمد ﷺ وقد قتلوا ذريته وأهل بيته المجتهدین بالأسحار ، الذاکرین الله كثيراً بالليل والنهار وشیعته الأنقياء الأبرار ».

فرد عليه عزرة بن قيس قائلاً :

« يا بن مظاهر إنك لتزكي نفسك !! ».

وانبرى إليه زهير بن القين قائلاً :

« اتق الله يا بن قيس ، ولا تكن من الذين يعيثون على الضلال ، ويقتلون النفس الزكية الطاهرة عترة خيرة الأنبياء ».

فقال له عزرة :

« كنت عندنا عثمانياً فما بالك؟ ».

فقال زهير :

« والله ما كتبت إلى الحسين ، ولا أرسلت إليه رسولاً ، ولكن الطريق جمعني وإياه ، فلما رأيته ذكرت به رسول الله وعرفت ما تقدمون من غدركم ، ونكثكم ، وسبيلكم إلى الدنيا فرأيت أن أنصره ، وأكون في حزبه حفظاً لما ضيعتم من حق رسول الله ﷺ ».

وعرض أبو الفضل مقالة القوم على أخيه ، فقال له :

« ارجع إليهم فإن استطعت أن تؤخرهم إلى غدوة لعلنا نصلی لربنا هذه الليلة ، وندعوه ، ونستغفره فهو يعلم أنی أحب الصلاة وتلاوة كتابه وكثرة الدعاء والاستغفار ».

ورجع إليهم أبو الفضل العباس ، فأخبرهم بكلام أخيه ، وعرض ابن سعد الأمر على الشمر خوفاً من وسايته إذا استجاب لطلب الإمام وأخر القتال فقد كان المنافق

الوحيد له على إمارة الجيش كما كان عيناً عليه، أو أنه أراد أن يكون شريكاً له في المسؤولية فيما إذا عاتبه ابن زياد على تأخير الحرب.

وعلى أي حال فإن الشمر لم يبد رأيه في الموضوع، وإنما أحاله لابن سعد، وانبرى عمرو بن الحاجاج الزبيدي فأنكر عليهم احجامهم عن إجابة الإمام قائلاً:

«سبحان الله!! والله لو كان من الدليل ثم سألكم هذه المسألة لكان ينبغي أن تنجيده».

ولم يزد ابن الحاجاج على ذلك فلم يقل إنه ابن رسول الله(ص) خوفاً من أن تنقل الاستخبارات العسكرية حدثه إلى ابن مرجانة فيتال العقاب أو العتاب والحرمان منه... وأيد ابن الأشعث مقالة ابن الحاجاج فقال لابن سعد:

«أجبهم إلى ما سألوا فلعمري ليصحبنك بالقتال غداً».

وإنما قال ابن الأشعث ذلك لأنه حسب أن الإمام يتنازل لابن زياد فلذا رغب في تأخير القتال، إلا أنه لما استبان له أن الإمام مصمم على الحرب ندم على كلامه وراح يقول:

«والله لو أعلم أنهم يفعلون ما أخرتهم».

لقد اتخذ ابن الأشعث من خلقه وأخلاق أهل الكوفة مقاييساً يقيس به قيم الرجال فظن أن الإمام سوف يستجيب للذلة والهوان ويتنازل عن أداء رسالته الكبرى، ولم يعلم أن الإمام يستمد واقعه واتجاهاته من جده العظيم^(١).



(١) حياة الإمام الحسين عليه السلام للقرشي: ٣/١٠٨.

تأجيل الحرب إلى الصبح

واستجاب ابن سعد إلى تأجيل الحرب بعد أن رضيت به أكثرية القادة من جيشه، وأوعز ابن سعد إلى رجل من أصحابه أن يعلن ذلك فدنا من معسكر الحسين وصاح: «يا أصحاب الحسين بن علي قد أجلناكم يومكم هذا إلى غد فإن استسلمتم ونزلتم على حكم الأمير وجهنا بكم إليه وإن أبيتم ناجزناكم» وأرجى القتال إلى اليوم العاشر من المحرم وظل أصحاب ابن سعد يتظرون الغد هل يجيئهم الإمام أو يرفض ما دعوه إليه^(١).



أحداث ليلة العاشر من محرم

الحسين ع ينعي نفسه ويوصي زينب بالصبر

روى الطبرى عن علي بن الحسين بن علي ، قال: إني جالس في تلك العشية التي قتل أبي صبيحتها، وعمتي زينب عندي تمرضني إذا اعتزل أبي بأصحابه في خباء له وعنه حوي مولى أبي ذر الغفارى^(١) وهو يعالج سيفه ويصلحه وأبي يقول:

يا دهر أفالك من خليل
كم لك بالاشراق والأصيل
من صاحب أو طالب فتيل
والدهر لا يقنع بالبديل
وانما الأمر إلى الجليل
وكل حي سالك السبيل

قال: فأعادها مرتين أو ثلاثا حتى فهمتها فعرفت ما أراد، فخنقتنى عبرتى فرددت دمعي ولزمت السكوت، فعلمت ان البلاء قد نزل، فاما عمتي فإنها سمعت ما سمعت وهي امرأة وفي النساء الرقة والجزع فلم تملك نفسها أن وثبت تجر ثوبها وإنها لحاسرة حتى انتهت إليه فقالت، واثكلاه! ليت الموت أعدمني الحياة! اليوم ماتت فاطمة أمي! وعلي أبي! وحسن أخي! يا خليفة الماضي وثمال الباقي، فنظر إليها الحسين ع ، فقال: يا أخية! لا يذهبن حلمك الشيطان، قالت: بأبي أنت

(١) ورد في مقتل الخوارزمي وغيره في خبر مقتله بلفظ «جون».

وأمي، يا أبا عبد الله استقتلت! نفسي فداك! فرد غصته وترقفت عيناه وقال: لو ترك القطا ليلا لنام.

قالت: يا ويلتنا! أفتغصب نفسك اغتصابا! فذلك اقرح لقلبي! وأشد على نفسي! ولطممت وجهها وأهوت إلى جيبياً وشقته! وخرت مغشياً عليها! فقام إليها الحسين، فصب على وجهها الماء! وقال لها: يا أخية! اتقى الله! وتعزى بعزاء الله! وأعلمي أن أهل الأرض يموتون، وأن أهل السماء لا ييقون، وأن كل شيء هالك إلا وجه الله الذي خلق الأرض بقدرته، ويعيث الخلق فيعودون، وهو فرد وحده، أبي خير مني، وأمي خير مني، وأخي خير مني، ولهم ولكل مسلم برسول الله أسوة، قال: فعزاها بهذا ونحوه، وقال لها: يا أخية! إني أقسم عليك فأبرى قسمي لا تشقي علي جيبياً ولا تخمشي على وجهها! ولا تدعني علي بالويل والثبور إذا أنا هلكت! قال: ثم جاء بها حتى اجلسها عندي وخرج إلى أصحابه، فأمرهم أن يقربوا بعض بيوتهم من بعض وان يدخلوا الأطناط بعضها في بعض، وأن يكونوا هم بين البيوت، إلا الوجه الذي يأتيهم منه عدوهم^(١).



الإمام ينعي نفسه

وروي من طريق آخر: أنه كان في الخيمة الإمام زين العابدين والعقيقة زينب، أما الإمام زين العابدين فلما سمع كلام أبيه عرف ما أراد فخنقته العبرة، ولزم السكوت وعلم أن البلاء قد نزل - حسبما يقول - وأما عقيقة بني هاشم فإنها لما سمعت هذه الأبيات أحست أن شقيقها وبقية أهلها عازمون على الموت ومصممون على الشهادة فامسكت قلبها في ذعر، ووُثِّبت وهي تجر ذيلها، وقد فاضت عيناه بالدموع، فقالت لأخيها بنبرات لفظت فيها شظايا قلبها.

«وائكلاه! واحزناه! ليت الموت أعدمني الحياة، يا حسناه، يا سيداه، يا بقية أهل بيته، استسلمت، ويشتت من الحياة، اليوم مات جدي رسول الله ﷺ وأمي فاطمة الزهراء وأبي علي وأخي الحسن، يا بقية الماضين وشمال الباقيين».

فقال الإمام لها بحنان:

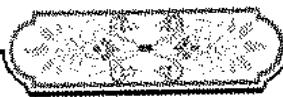
«يا أخية لا يذهبن بحلنك الشيطان».

وانبرت العقيقة إلى أخيها وهي شاحبة اللون قد مزق الأسى قلبها الرقيق المعدب فقالت له بأسى والتياع:

«اتغتصب نفسك اغتصاباً، فذاك أطول لحزني وأشجع لقلبي».

ولم تملك صبرها بعدما أيقنت أن شقيقها مقتول، فعمدت إلى جيبها فشققته، ولطممت وجهها، وخرت على الأرض فاقدة لوعيها وشاركتها النسوة في المحنّة القاسية، وصاحت السيدة أم كلثوم:

«وامحمداء، واعلياء، وأماء، واحسيناء، واضييعاته بعدهك».



وأثر المنظر الرهيب في نفس الإمام فذاب قلبه الزاكي أسى وحسرات وتقى
إلى السيدات من بنات الوجي فجعل يأمرهن بالخلود إلى الصبر والتحمل لأعباء هذه
المحنة الكبرى قائلاً :

«يا اختاه، يا أم كلثوم، يا فاطمة، يا رباب، انظرن إذا قتلت فلا تشققن علي
جيأ ولا تخمنن وجهها، ولا تقلن هجرأ».

لقد عانى الإمام العظيم الواناً قاسية ومذهلة من المحن والخطوب كانت بقدر
إيمانه بالله فلم يكدر يفرغ من محنـة حتى يواجهه سيل من المحنـ الكبرى التي لا يطيقها
أي إنسان^(١).



(١) حياة الإمام الحسين للقرشي: ١١٦/٣.

زينب تحيي الليل بالعبادة

وروى عن الضحاك بن عبد الله المشرقي قال: فلما أمسى الحسين وأهل بيته وأصحابه، قاموا الليل كله يصلون، ويستغفرون، ويدعون، ويتضرعون، قال: فتمر بنا خيل لهم، تحرسنا، وإن حسينا ليقرأ: ولا يحسن الذين كفروا أنما نملي لهم خيراً لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين، ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب. فسمعها رجل من تلك الخيل التي كانت تحرسنا، فقال: نحن ورب الكعبة الطيبون! ميزنا منكم! قال: فعرفته فقلت لبرير بن حضير: تدري من هذا؟

قال: لا.

قلت: هذا أبو حرب السبعyi عبد الله بن شهر، وكان مضحاكا بطلاً وكان شريفاً، شجاعاً فاتكا، وكان سعيد بن قيس ربما حبسه في جناية، فقال له برير بن حضير: يا فاسق أنت يجعلك الله في الطيبين؟

قال له: من أنت؟

قال: أنا برير بن حضير.

قال: إنما لله عز علي! هلكت والله! هلكت والله يا برير.

قال: يا أبا حرب هل لك ان تتوسل إلى الله من ذنوبك العظام؟! فواشة إنما لنحن الطيبون، ولكنكم لأنتم الخبيثون، قال: وأنا على ذلك من الشاهدين قلت: ويهلك! أفلأ ينفعك معرفتك؟

قال: جعلت فداك فمن ينادم يزيد بن عذرة العتزي من عنز بن وايل، قال: ها هو ذا معي، قال: قبح الله رأيك على كل حال.

أنت سفيه! قال: ثم انصرف عنا وكان الذي يحرسنا بالليل في الخيل عزرة بن قيس الأحمسي وكان على الخيل^(١).



(١) معالم المدرسين للمسكري: ٨٨/٣ - ٩٢.

رؤيا الإمام الحسين عليه السلام

وخفق الإمام الحسين خفقة بعدهما أعيته الآلام المرهقة، فاستيقظ، والتفت إلى أصحابه وأهل بيته فقال لهم:

- أتعلمون ما رأيت في منامي؟

- ما رأيت يا بن رسول الله؟

- رأيت كأن كلاباً قد شدت علي تناشبني وفيها كلب أبغض أشدتها علي، وأظن الذي يتولى قتلي رجل أبرص من هؤلاء القوم... ثم إني رأيت جدي رسول الله ص ومعه جماعة من أصحابه، وهو يقول لي: يا بني أنت شهيد آل محمد، وقد استبشرت بك أهل السماوات وأهل الصفيح الأعلى، فليكن إفطارك عندي الليلة، عجل ولا تؤخر هذا ما رأيت وقد أزف الأمر واقترب الرحيل من هذه الدنيا.

ونحيم على أهل بيته عليه السلام وأصحابه حزن عميق، وأيقنوا بنزول الرزء القاصم واقتراض الرحيل عن هذه الحياة^(١).



فزع عقائل الوحي

وفزعت عقائل الوحي كأشد ما يكون الفزع، فلم يهدأ في تلك الليلة الخالدة في دنيا الأحزان، وقد طافت بهن تiarات من الهواجس والأفكار، وتمثل أمامهن المستقبل الملبد بالكوارث والخطوب، فماذا سيجري عليهن بعد مفارقة الحماة من أبناء الرسول ﷺ؟ وهن في دار غربة قد أحاط بهن الأعداء الجفا، وخلدن إلى البكاء والعويل والابتهاج إلى الله ليتقذهن من هذه المحنـة التي تقضم الأصلاب.

وأما أعداء أهل البيت فقد باتوا وهم في شوق إلى إراقة تلك الدماء الزكية ليتقربوا بها إلى ابن مرجانة وكانت الخيـل تدور وراء معسكر الحسين عـلـيـهـاـ عـزـرـةـ بـنـ قـيـسـ الـأـحـمـسـيـ خـوـفـاـ مـنـ أـنـ يـفـوتـ الـحـسـينـ أوـ يـلـتـحقـ بـمـعـسـكـرـهـ أحدـ مـنـ النـاسـ^(١) ..





أحداث يوم عاشوراء من المحرم

وما طلع فجر في سماء الدنيا كفجر اليوم العاشر من المحرم في مأساه وأحزانه، ولا أشرت شمس كتلك الشمس في كآيتها وآلامها... فليس هناك حادث في التاريخ يفوق في كوارثه وآلامه تلك المشاهد الحزينة التي تم تمثيلها يوم عاشوراء على صعيد كربلاء، فلم تبق محننة من محن الدنيا ولا غصة من غصص الدهر إلا جرت على ريحانة رسول الله ﷺ يقول الإمام زين العابدين ع: «ما من يوم أشد على رسول الله ﷺ من يوم أحد قتل فيه عمه حمزة بن عبد المطلب أسد الله، وأسد رسوله، وبعده يوم موتة قُتل فيه ابن عمه جعفر بن أبي طالب، ثم قال: ولا يوم كيوم الحسين ازدلف إليه ثلاثون ألف رجل يزعمون أنهم من هذه الأمة كل يتقرب إلى الله تعالى بدمه، وهو بالله يذكرهم فلا يتعظون حتى قتلوه بغيًا وظلماً وعدوانًا».

وببدأ الإمام العظيم في فجر اليوم العاشر بالصلوة، وكان فيما يقول المؤرخون قد تيمم هو وأصحابه للصلوة نظراً لعدم وجود الماء عندهم وقد ائتم به أهله وصحبه وقبل أن يتموا تعقيبهم دقت طبول الحرب من معسكر ابن زياد، واتجهت فرق من الجيش وهي مدججة بالسلاح تنادي بالحرب أو التزول على حكم ابن مرجانة.





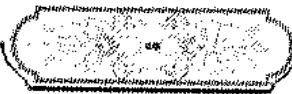
دعا الإمام

وخرج أبي الضييم فرأى البيداء قد ملئت خيلاً ورجالاً، وقد شهرت السيف والرماح، وهم يتعطشون إلى إراقة دمه ودماء البررة من أهل بيته وأصحابه لينالوا الأجر الزهيد من ابن مرجانة فدعا عليه السلام بمصحف فنشره على رأسه، وأقبل على الله يتضرع إليه قائلاً:

«اللَّهُمَّ أَنْتَ ثُقِّي فِي كُلِّ كَرْبٍ، وَرَجَائِي فِي كُلِّ شَدَّةٍ، وَأَنْتَ لِي فِي كُلِّ أَمْرٍ نَزَّلْتَ بِي ثَقَةً وَعِدَّةً، كَمْ مِنْ هُمْ يَضُعُفُ فِيهِ الْفَوَادُ، وَتَقْلُ فِيهِ الْحِيلَةُ، وَيَخْذُلُ فِيهِ الصَّدِيقُ، وَيَشْمَتُ فِيهِ الْعُدُوُّ، أَنْزَلْتَهُ بِكَ وَشَكَوْتَهُ إِلَيْكَ رَغْبَةً مِنِّي إِلَيْكَ عَمَّنْ سَوَّاكَ فَفَرَجْتَهُ وَكَشَفْتَهُ وَكَفَيْتَهُ، فَأَنْتَ وَلِي كُلِّ نِعْمَةٍ وَصَاحِبُ كُلِّ حَسْنَةٍ وَمُتَهَّيٌ كُلِّ رَغْبَةٍ».

ويلمس في هذا الدعاء مدى إيمانه العميق فقد أناب إلى الله وأخلص له في جميع مهامه فهو وليه، والملجأ الذي يلجأ إليه في كل نازلة نزلت به^(١).





خطبة الإمام

وقال القرشي : ودعا الإمام براحته فركبها ، واتجه نحو معسكر ابن سعد ، وهو بتلك الهيئة التي تحكى هيبة جده الرسول ، فخطب فيهم خطابه التاريخي الذي هو من أبلغ وأروع ما أثر في الكلام العربي ، وقد نادى بصوت عال يسمعه جلهم :

«أيها الناس: اسمعوا قولي ولا تجعلوا حتى أعظكم بما هو حق لكم علي،
وحتى أعتذر إليكم من مقدمي عليكم فإن قبلتم عذرني، وصدقتم قولي، واعطيتمنوني
النصف من أنفسكم كنتم بذلك أسعد، ولم يكن لكم علي سبيل، وإن لم تقبلوا مني
العذر ولم تعطوا النصف من أنفسكم فاجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم
عليكم غمة، ثم اقضوا إلي ولا تنتظرون ان ولني الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى
الصالحين» .



بكاء النساء والأطفال

قال القرشي : ونقل الأثير كلماته إلى السيدات من عقائل النبيرة وحرائر الولي فتصارحن بالبكاء ، وارتقت أصواتهن ، فبعث إليهن أخاه العباس وابنه علياً ، وقال لهما : سكتاهن فلعمري ليكثر بكاؤهن .

ولما سكتن استرسل في خطابه فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ وعلى الملائكة والأنبياء ، وقال في ذلك ما لا يحصى ذكره ولم يسمع لا قبله ولا بعده أبلغ منه في منطقه وقال :

«أيها الناس : إن الله تعالى خلق الدنيا فجعلها دار فناء وزوال منصرفة بأهلها حالاً بعد حال ، فالمنغور من غرته ، والشقي من فتنته ، فلا تغرنكم هذه الدنيا فإنها تقطع رجاء من ركن إليها ، وتخبب طمع من طمع فيها ، وأراكم قد اجتمعتم على أمر قد أخطئتم الله فيه عليكم ، وأعرض بوجهه الكريم عنكم ، وأحل بكم نقمته ، فنعم رب ربنا ، وبئس العبيد أنتم أقررتם بالطاعة ، وأمنتם بالرسول محمد ﷺ ثم إنكم زحفتم إلى ذريته وعترته تريدون قتلهم ، لقد استحوذ عليكم الشيطان فأنساكم ذكر الله العظيم ، فتبأ لكم ولما تريدون ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، هولا قوم كفروا بعد إيمانهم بعدها ل القوم الظالمين » .

لقد وعظهم بهذه الكلمات التي تمثل هدي النبوة ، ومحنة الأنبياء في أممهم ، فحدّرهم من فتنة الدنيا وغرورها ، ودلل على عواقبها وخسارتها وأهاب بهم من الإقدام على قتل عترة نبيهم فإنهم بذلك يخرجون من الإسلام إلى الكفر ، ويستوجبون عذاب الله الخالد ، وسخطه الدائم ، ثم استرسل ﷺ في خطابه فقال :

«أيها الناس : انسبوني من أنا ؟ ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوا أنفسكم وانتظروا هل

بحل لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟ ألسن ابن بنت نبيكم وابن وصيه وابن عمه؟ وأول المؤمنين بالله والمصدق لرسوله بما جاء من عند ربه؟ أوليس حمزة سيد الشهداء عم أبي؟ أو ليس جعفر الطيار عمي أو لم يبلغكم قول رسول الله ﷺ لي ولأخي: «هذا سيداً شباباً أهل الجنة» فإن صدقتموني بما أقول وهو الحق، والله ما تعمدت الكذب منذ علمت أن الله يمقت عليه أهله، ويضر به من اختلقه، وإن كذبتموني فإن فيكم من إذا سألتموه أخباركم. سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري وأبا سعيد الخدري، وسهل بن سعد الساعدي، وزيد بن أرقم وأنس بن مالك يخبروكم أنهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله ﷺ لي ولأخي أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي؟».

لا أعرف خطاباً أرق ولا أبلغ من هذا الخطاب، فأي خطيب مهما كان يتمتع برائع البيان فإنه ليعجز عن الكلام في مثل هذا الموقف الرهيب الذي تخرس فيه الأسود، وتحجم فيه الأبطال... وكان خليقاً بهذا الخطاب أن يرجع إليهم حوازب أحلامهم، ويحدث انقلاباً فكريأً وعملياً في صفوفهم لقد دعاهم لأن يرجعوا إلى نفوسهم وعقولهم لو كانوا يملكونها ليمعنوا النظر في شأنه، فهو حفيد نبيهم وابن وصيه، وألصق الناس وأمسهم رحماً به، وهو سيد شباب أهل الجنة، وفي ذلك حصانة له من سفك دمه وانتهاك حرمته، إلا أن ذلك الجيش لم يع هذا المنطق الفياض فقد خلد إلى الجريمة، واستولى على قلوبهم زيف قائم من الضلال فأنساهم ذكر الله.

وانبرى إليه الرجس الخبيث شمر بن ذي الجوشن وهو من غرق في الإثم فقال

له:

«وهو يعبد الله على حرف إن كان يدرى ما تقول؟».

وما كان مثل ذلك الضمير المتحجر الذي ران عليه الباطل أن يعي منطق الإمام أو يفهم مقالته، وتصدى لجوابه حبيب بن مظاهر فقال له:

«والله إني أراك تعبد الله على سبعين حرفأً، وأناأشهد أنك صادق ما تدرى ما يقول: قد طبع الله على قلبك» واستمر الإمام في خطابه فقال:

«إِنْ كَتَمْ فِي شَكٍ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ، أَفْتَشُوكُونَ أَنِّي ابْنَ بَنْتِ نَبِيِّكُمْ فَوَاللهِ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ابْنَ بَنْتِ نَبِيٍّ غَيْرِي فِيْكُمْ وَلَا فِيْغَيْرِكُمْ، وَيَحْكُمُ اتَطْلُبُونِي بِقَتْلِكُمْ قَتْلَتْهُ، أَوْ مَالَ لَكُمْ اسْتَهْلَكَتْهُ أَوْ بِقَصَاصِ جَرَاحَةٍ».

وزلزلت الأرض تحت أقدامهم، وغدوا حيارى لا يملكون جواباً لرده فهم لا يشكون أنه ابن بنت رسول الله ﷺ وريحاناته، وانهم لا يطلبونه بقتل قته ولا بمال استهلكه منهم. ثم نادى الإمام قادة الجيش الذين دعوه برسائلهم للقدوم إلى الكوفة، فقال:

«يَا شَبَّثَ بْنَ رَبِيعَى، وَيَا حَجَارَ بْنَ ابْجَرَ، وَيَا قَيْسَ بْنَ الْأَشْعَثَ وَيَا زَيْدَ بْنَ الْحَرْثَ، أَلَمْ تَكْتُبُوا إِلَيَّ أَنْ قَدْ أَبْيَعْتُ الشَّمَارَ وَأَخْضَرَ الْجَنَابَ وَإِنَّمَا تَقْدُمُ عَلَىْ جَنْدِكُمْ مَجْنَدَةً».

ولم تخجل تلك النفوس من خيانة العهد، وحثت الایمان فأجابوه مجمعين على الكذب:

«لَمْ نَفْعَلْ».

واستغرب الإمام منهم ذلك فقال لهم:
«سَبَحَانَ اللهِ! بَلَى وَاللهِ لَقَدْ فَعَلْتُمْ».

واعرض الإمام عنهم ووجه خطابه إلى جميع قطعات الجيش فقال لهم:
«أَيُّهَا النَّاسُ: إِذَا كَرِهْتُمُونِي فَلَدُعُونِي أَنْصَرِفُ عَنْكُمْ إِلَى مَأْمَنِي مِنَ الْأَرْضِ».
فأنبرى إليه قيس بن الأشعث وهو من عرف بالغدر والتفاق، وقد خلع كل شرف وحياة، وحسبه أنه من أسرة لم تنجب شريفاً قط فقال له:
«أَوْ لَا تَنْزَلُ عَلَى حُكْمِ بْنِي عَمِّكَ؟ فَإِنَّمَا لَنْ يَرُوكَ إِلَّا مَا تَحْبُّ، وَلَنْ يَصْلِ إِلَيْكَ مِنْهُمْ مَكْرُوْهٌ».

فأجابه الإمام:

«أَنْتَ أَخُو أَخِيكَ؟ أَتَرِيدُ أَنْ يَطْلُبَكَ بَنْوَهَاشَمَ بِأَكْثَرِ مِنْ دَمِ سَلَمَ بْنِ عَقِيلٍ؟ لَا

والله لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل ولا أفر فرار العبيد عباد الله إني عذت برببي وربكم
أن ترجمون أعوذ برببي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب».

ترول المماليك وتدول الدول ، وهذه الكلمات أحق بالبقاء وأجدر بالخلود من
كل شيء فقد مثلت عزة الحق ، ومنعة الأحرار وشرف الاباهة.

ومن المؤسف أنه لم تنفذ هذه الكلمات النيرة إلى قلوبهم فقد أقفل الجهل
جميع أبواب الفهم في نفوسهم ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَرِهِمْ
غِشْوَةٌ﴾^(١) ﴿أَنَّمَّا تَنْهَىٰهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنَّهُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ
سِيِّلًا﴾^(٢) ، لقد اعرضوا اعراضًا تماماً عن دعوة الإمام فلم يحفلوا بها ، وصدق الله
تعالى إذ يقول : ﴿إِنَّكَ لَا تُشْيِعُ الْمَوْتَنَّ وَلَا تُشْيِعُ الصُّمَدَ الدُّغَاءَ إِذَا وَلَوْا مُذِيرِينَ﴾^(٣) .



(١) سورة البقرة ، الآية : ٧.

(٢) سورة الفرقان ، الآية : ٤٤.

(٣) سورة النمل ، الآية : ٨٨.

(٤) حياة الإمام الحسين للقرشي : ٦٧ / ٣ - ١٢٤ .

خطبة الإمام الحسين في كربلاء

وقال في البحار: كان ذلك اليوم يوم الخميس وهو الثاني من المحرم سنة إحدى وستين فقام الحسين عليه السلام خطيباً في أصحابه وقال: إنه قد نزل من الأمر ما ترون وأنّ الدنيا تغيرت وتنتكّرت وأدبر معرفتها وإنّي لا أرى الموت إلا سعادة، فقام زهير بن القين وقال: يا بن رسول الله لو كانت الدنيا لنا باقية لأثروا النهوض معك على الإقامة فيها وتتكلّم أصحابه عليه السلام مثل كلام زهير فساروا مع الحرّ حتى نزلوا كربلاء في اليوم الثاني من المحرم وقال: هذه أرض كرب وبلاء فبكى ساعة، وقال: اللهم إنا عترة نبيك وقد أخرجنا وطردنا وأزعجنا عن حرم جدنا وتعذّت بنو أميّة علينا ثمّ قال هذه الأرض مناخ ركابنا ومحظ رحالنا ومقتل رجالنا وسفك دمائنا، وكتب الحرّ إلى ابن زياد: إنّ الحسين نزل كربلاء فأرسل عمر بن سعد في أربعة آلاف فارس فنزل نينوى وأرسل إلى الحسين عليه السلام: ما الذي أتى بك؟

فقال: كتبكم، فإذا كرهتموني فأنا أنصرف عنكم، ثمّ إنّ ابن زياد أرسل إليه الخيل والرجال حتى تكاملت عنده ثلاثة ثلائون ألفاً فنزلوا على شاطئ الفرات وحالوا بينه وأصحابه وبين الماء وأضير العطش بأصحاب الحسين فأخذ عليه السلام فأساً وحفر فنبعت عين من الماء فشربوا بأجمعهم وغارت العين وبلغ ذلك ابن زياد فأرسل إلى ابن سعد أن امنعهم حفر الآبار ولا تدعهم يذوقوا الماء. فبعث عمرو بن الحاج في خمسة فارس فنزلوا على الشريعة وحالوا بين الحسين وبين الماء وذلك قبل قتل الحسين عليه السلام ثلاثة أيام ونادي ابن حصين: يا حسين لا تنتظرون إلى الماء كأنه كبد السماء والله لا تذوقون منه قطرة حتى تموتونا عطشاً.

فقال الحسين عليه السلام: اللهم اقتله عطشاً، قال حميد بن مسلم: والله لقد رأيته بعد

ذلك يشرب الماء ثم يقيئه ويصبح العطش العطش وهكذا حتى خرجت روحه ولما رأى الحسين عليه السلام نزول العساكر مع ابن سعد أرسل إليه: أريد أن ألقاك فاجتمعا وتناوليا طويلاً ثم رجع ابن سعد إلى مكانه وكتب إلى ابن زياد: هذا حسين قد أعطاني أن يرجع إلى المكان الذي منه أني أو إلى أحد الشغور فيكون رجلاً من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم.

فلما قرأ الكتاب قال: هذا كتاب ناصح مشفع على قومه فقام إليه شمر فقال: لمن رحل الحسين من بلادك ليكونَ قوياً وأنت ضعيف فلا تعطيه هذه المنزلة ولكن ينزل على حكمك، فقال ابن زياد: نعم ما رأيت فكتب إلى ابن سعد: لم أبعثك إلى الحسين لتمنيه السلامة ولا لتكون له عندي شفيعاً أنظر إن نزل حسين على حكمي فابعث به إلى سالماً وإن أبي فاقتله وأصحابه ومثل بهم فإن قلت حسيناً فأوطئ الخيل صدره وظهره فإنه عات ظلوم فإن أنت مضيت لأمرنا جزيئاً جزاء السامع المطيع وإن أبيت فاعتزل وخل بين شمر وبين العسكر فأقبل شمر بكتاب ابن زياد إلى ابن سعد.

فلما قرأ الكتاب قال: لا قرب الله دارك والله إني لأظنك نهيه عمما كتبت به إليه والله لا يبايع الحسين؛ إنّ نفس أبيه بين جنبيه فقال له الشمر: إن لم تمض لأمر أميرك إلاّ فخل بيبي وبين الجندي، قال: لا وكرامة لك ولكن أنا أتوّلى ذلك ودونك فكن على الرجال، وجاء شمر حتى وقف على أصحاب الحسين فقال: أين بنو أختنا فخرج إليه جعفر والعباس وعثمان بنو علي ف قال لهم: أنتم يا بنى أختي آمنون فقالوا له: لعنك الله ولعن إمامك أتؤمننا وابن رسول الله لا أمان له.

ثم نادى ابن سعد: يا خيل الله اركبي فرجف الناس إليهم بعد العصر والحسين عليه السلام جالس أمام بيته مُحتب بسيفه فخنق برأسه على ركبتيه وسمعت أخته الصبيحة فدنت من أخيها وقالت: يا أخي ما تسمع هذه الأصوات؟

فرفع الحسين عليه السلام رأسه فقال: رأيت رسول الله صلوات الله عليه وسلم الساعة في المنام وهو يقول: إنك تروح إلينا غداً فلطمته وجهها ونادت بالويل، فقال الحسين عليه السلام للعباس

إمض إليهم وأخرهم إلى غد لعلنا نصلّى لربنا هذه الليلة وندعوه ونستغفره، فمضى إليهم وأجلوه إلى غد فجمع أصحابه عند المساء فقال لهم: إني أذنت لكم فانتطلعوا في حلّ هذا الليل قد غشيكم فقالوا: نفعل ذلك لنبقى بعده لا أرانا الله ذلك أبداً، بدأهم بذلك العباس ثم قام إليه ابن عوسمة فقال: لو لم يكن معي سلاح أقاتلهم به لقذفهم بالحجارة ولو علمت أنني أقتل ثم أحيا ثم أحرق ثم أحيا ثم أذري يفعل بي ذلك سبعين مرّة ما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك فكيف لا أفعل ذلك وإنما هي قتلة واحدة ثم هي الكراهة التي لا انقضاء لها، وتتكلّموا مثل كلامه فجزاهم الحسين عليه السلام خيراً وانصرف إلى منزله.

وقيل لبشر بن محمد الحضرمي في تلك الحال قد أسر ابنك بشعر الريّ فقال عند الله أحتسبه ونفسي فسمع الحسين عليه السلام قوله فقال له: أنت في حلّ من يعتني فأعمل في فكاك ابنك فقال: أكلتني السباع حيناً إن فارقتك فأعطيه خمسة أثواب قيمتها ألف دينار لفكاك ابنه وبات الحسين عليه السلام وأصحابه تلك الليلة ولهم دوي كدوبي النحل ما بين راكع وساجد وقائم وقاعد فلما كان الغداة أمر الحسين عليه السلام بفضطاط فضرب وأمر بجفنة فيها مسك كثير فجعل فيها نورة ثم دخل ليطلي وأصحابه بعده فجعل بريبر يضاحك عبد الرحمن الأنصاري فقال له عبد الرحمن: ما هذه ساعة ضحك، فقال: إنما أفعل ذلك استبشاراً بما نصير إليه فوالله ما هو إلا نلقى هؤلاء القوم بأسياافنا نعالجهم ساعة ثم نعانق الحور العين.

وقال علي بن الحسين عليه السلام: إني جالس في تلك الليلة التي قتل أبي في صبيحتها فدخل أبي في خباء له يعالج سيفه ويصلحه ويقول شرعاً:

يا دهر اف لك من خليل كم لك في الإشراق والأصيل
من طالب وصاحب قتيل والدهر لا يقنع بالبدل
ولئما الأمر إلى الجليل وكل حي سالم سبلي
تعلمت ما أراد فختفي العبرة وعلمت أن البلاء قد نزل، وأما عمتى زينب فلم تملك نفسها فمشت تجرّ ثوبها حتى انتهت إليه وقالت: وانكلاه لبيت الموت أعدمني

الحياة اليوم ماتت أمي فاطمة وأبي علي وأخي الحسن يا خليفة الماضي وثمال
الباقي.

فقال لها: يا أختاه لا يذهبن حلمك الشيطان وترقرقت عيناه بالدموع وقال: لو ترك القطا لنام، فقالت: ياويلتاه تغضب نفسك اغتصاباً، ثم لطمت وجهها وشقت جيبيها وخررت مغشية عليها فصبّ الحسين عليه السلام على وجهها الماء وقال: يا أختاه اعلمي أنّ أهل الأرض يموتون وأهل السماء لا يبقون وأنّ كلّ شيء هالك إلّا وجهه ثم قال: أقسم عليك إذا أنا قُتلت فلا تشقي علىَّ جيبياً ولا تخمشي علىَّ وجهي ثم خرج إلى أصحابه وأمرهم أن يقربوا بين بيوتهم وأن يشدوا الأطناب بعضها في بعض ليقانلوا القوم من وجه واحد، فلما كان وقت السحر خفق برأسه خفقةً ثم استيقظ فقال: رأيت كأنّ كلّاً شدّت علىَّ لتنهشني وفيها كلب أبغى رأيته أشدّ علىَّ وأظنّ أنّ الذي يتولّ قتلي رجلٌ أبرص، ثم رأيت بعد ذلك جدي في جماعة من أصحابه وهو يقول: يا بُني أنت شهيد آل محمد وقد استبشر بك أهل السماوات فليكن إفطارك عندي الليلة عجل ولا تؤخر فهذا ملك نزل من السماء ليأخذ دمك في قارورة خضراء فهذا ما رأيت وقد اقترب الرحيل من هذه الدنيا فأصبح فعباً أصحابه بعد صلاة الغداة وكان معه اثنان وثلاثون فارساً وأربعون راجلاً.

وفي رواية أخرى اثنان وثمانون راجلاً.

وعن الباقر عليه السلام: كانوا خمسة وأربعين فارساً ومائة راجل فكان زهير بن القين في الميمنة وحبيب بن مظاهر في الميسرة وعلى رايته العباس وأصبح ابن سعد في ذلك اليوم وهو يوم الجمعة، وقيل: يوم السبت وعباً أصحابه وكان على الميمنة عمرو بن الحجاج وعلى الميسرة شمر بن ذي الجوش.

وعن عليّ بن الحسين عليه السلام لما أقبلت الخيل على الحسين عليه السلام رفع يديه وقال: اللهم أنت ثقتي في كلّ كرب ورجائي في كلّ شدة وأنت لي في كلّ أمر نزل بي ثقةٌ وعدةٌ كم من كرب يضعف عنه الفواد وتقلّ في الحيلة ويخذل فيه الصديق ويشتت به العدو أنزلته لديك وشكوته إليك رغبةٌ مني إليك عمن سواك ففرجته وكشفته فأنت ولائي

كلّ نعمة وصاحب كلّ حسنة ومتى كلّ رغبة، فأقبل القوم يجولون حول الحسين ﷺ وتقدم الحسين ﷺ إلى القوم فجعل ينظر إلى صفوفهم كأنهم السيل وقال: أما بعد فانسبني وانظروا من أنا ثم راجعوا أنفسكم وعاتبواها فانظروا هل يحل لكم قتلي ألسُنْ ابن نبيكم وابن وصيئه أما بلغكم قول رسول الله ﷺ في وفي أخي هذان سيداً شباب أهل الجنة، ويحكم أتطلبوني بقتيل منكم قتلتة أو مال لكم استهلكته؟ ألم تكتبوا إليّ؟

فقال له قيس بن الأشعث: ما يقول؟

فقال ﷺ في خطبة خطبها في ذلك الموقف: اللهم احبس عنهم قطر السماء وابعث عليهم سنيناً كسنني يوسف، وسلط عليهم غلام ثقيف لا يدع أحداً منهم إلا قتله ينتقم لي ولأوليائي، يابن سعد تقتلني تزعم أن يوليك الداعي بن الداعي بلاد الري وجرجان والله لا تهنا بذلك أبداً عهداً معهوداً ولكائي برأسك على قصبة قد نصب بالكوفة يتراماه الصبيان ويتحذرون هدفاً فاغتاظ من كلامه ثم نادى ما تنتظرون به إحملوا بأجمعكم إنما هم أكلة واحدة، ثم نادى ابن سعد: يا دريد أدن رايتك فأدناها ثم وضع سهماً في كبد قوسه ثم رمى وقال: إشهدوا إني أول من رمى الحسين وأصحابه.

فرمى أصحابه كلّهم فما بقي من أصحاب الحسين أحد إلا أصحابه من سهامهم وقتل في هذه الحملة خمسون رجلاً ثم صاح الحسين: أما من مغيث يغيثنا لوجه الله، أما من ذايب يذب عن حرم رسول الله، ثم تبارزوا وكان كلّ من خرج من أصحاب الحسين ﷺ ودعاه وقال: السلام عليك يابن رسول الله، فيقول له: وعليك السلام ونحن خلفك ويقرأ: «فِيمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْنَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا»^(١)^(٢).



(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤٣.

(٢) بحار الأنوار: ٤٥ / ١٢.



الهجوم العام

قال السيد مرتضى العسكري في المعالم: وشنّت قوات ابن سعد هجوماً عاماً^(١) واسع النطاق على أصحاب الإمام وخاضوا معهم معركة رهيبة، وهذه هي الحملة الأولى التي خاضها أصحاب الإمام وهي حملة جماعية ضاربة اشتراك فيها معسكر الكوفة بكامل قطعانه وقد خاض أصحاب الحسين تلك المعركة بعزّم يستمد من العقيدة، ويستنق من نفس مفطورة على الإخلاص والتضحية دفاعاً عن الإسلام وجهاداً في سبيل الله، وقد برزت معنويتهم العسكرية للعيان فكانوا يهزمون الجمع ويخترقون الجيش، وقد اخترقوا جيش ابن سعد عدة مرات بقلوب أقوى من الصخر وقد استشهد نصفهم في هذه الحملة^(١).



(١) معالم المدرستين: ٣/١٠٩.

محاولة الشمر لحرق نساء وأطفال حرائر الوحي

وقال العسكري: وحمل الرجس الخبيث شمر بن ذي الجوشن على فساط الإمام الذي يضم السيدات من عقائل النبوة وحرائر الوحي ونادي الوغد رافعاً عقيرته:

«علي بالنار لأحرقه على أهله».

لقد تردى هذا الإنسان الممسوخ في متأهات سحرية من الخبث واللؤم ومن المؤكد أنه ليس في مجرمي الحروب وشذاذ الآفاق مثل هذا المجرم في خبث الطوية ولؤم العنصر وخساسة الطبع.

واختطف الرعب قلوب بنات رسول الله ﷺ وسرت الرعدة بأوصالهن فخرجن من الخيام مذعورات، وارتفت أصواتهن بالبكاء، وخلفهن الصبية والأطفال وهم يعجون بالبكاء، فكان هول منظرهم مما تذيب له النفوس أسى وحسرات، والتاج الإمام الحسين، فصاح بالخبيث الدنس: «أنت تحرق بيتي على أهلي؟ أحرقك الله بالنار».

ولم يشن الرجس عن عزمه، وظل يهتف بجهوده ليوفوه بقبس من النار ليحرق خيام أهل البيت.



إنكار حميد بن مسلم

وأنكر على الشمر حميد بن مسلم، فقد خف إليه بعدهما رأى الذعر والخوف قد استولى على بنات رسول الله فقال له:

«إن هذا لا يصلح لك، أتريد أن تجمع على نفسك خصلتين، تعذب بعذاب الله، وتقتل الولدان والنساء، والله إن في قتل الرجال لما يرضي به أميرك».

فصاح به الشمر:

«من أنت؟».

وخشى حميد بن مسلم أن يعرفه بنفسه فيوشى به عند ابن زياد فقال له:

«لا أخبرك من أنا».

وظل الباغي اللثيم مصراً على غيه ليضيف إلى مويقاته جرائم أخرى.

توبيق شيث بن ربيع:

وأسرع إليه شيث بن ربيع فربخه، ونهاه فاستجاب له الأئم على كره وولي ليرجع فحمل عليه زهير بن القين مع عشرة من أصحابه فأرغموه على الرجوع، وقد التحموا مع جنده فقتلوا أبا عزرة الضبابي، وهو من أسرة الشمر، وتکاثرت الجيوش على أصحاب الإمام فكان إذا قتل أحد منهم بان ذلك فيهم لقتلهم إلا أنه إذا قتل أحد من أصحاب ابن سعد لا يبين ذلك فيهم لكثره عددهم.



فرع النساء عند أول حرق للخيام

قال: فأمر بها عمر بن سعد عند ذلك فقال احرقوها بالنار، ولا تدخلوا بيته ولا تقوصوه، فجاؤوا بالنار فأخذوا يحرقون فقال حسين دعوهم فليحرقوها، فإنهم لو قد حرقوها لم يستطعوا أن يجوزوا إليكم منها، وكان ذلك كذلك، وأخذوا لا يقاتلونهم إلا من وجه واحد.

قال: وحمل شمر بن ذي الجوشن حتى طعن فسطاط الحسين برممه ونادى: على بالنار حتى أحرق هذا البيت على أهله، قال: فصاح النساء وخرجن من الفسطاط.

قال: وصاح به الحسين يا بن ذي الجوشن أنت تدعو بالنار لترقبي بيتي على أهلي! حرقك الله بالنار.

وروى عن حميد بن مسلم قال: قلت لشمر بن ذي الجوشن: سبحان الله: أن هذا لا يصلح لك، أتريد أن تجمع على نفسك خصلتين تعذب بعذاب الله، وتقتل الولدان والنساء، والله إن في قتلك الرجال لما ترضي به أميرك قال:

فقال: من أنت؟

قال: قلت: لا أخبرك من أنا.

قال: وخشيتك والله أن لو عرفني أن يضرني عند السلطان!

قال: فجاءه رجل كان أطوع له مني ثبت بن ربيع، فقال: ما رأيت مقالاً أسوأ من قولك، ولا موقفاً أقبح من موقفك! أمرعبا للنساء صرت

قال: فأشهد أنه استحيى فذهب لينصرف، وحمل عليه زهير بن القين في رجال

من أصحابه عشرة فشد على شمر بن ذي الجوشن وأصحابه فكشفهم عن البيوت، حتى ارتفعوا عنها فصرعوا أبا عزة الصبابي، فقتلواه، فكان من أصحاب شمر، وتعطف الناس عليهم فكثروهم فلا يزال الرجل من أصحاب الحسين قد قتل، فإذا قتل منهم الرجل والرجلان تبين فيهم، وأولئك كثير لا يتبيّن فيهم ما يقتل منهم^(١).



(١) معالم المدرستين للعسكري: ٣/١١١.

الأمان لأخوة زينب

قال أبو مخنف: عن الحارث بن حصيرة عن عبد الله بن شريك العامري قال: لما قبض شمر بن ذي الجوشن الكتاب قام هو وعبد الله بن أبي المحل وكانت عمه أم البنين ابنة حزام عند علي بن أبي طالب عليه السلام، فولدت له العباس وعبد الله وجعفر وعثمان، فقال عبد الله بن أبي المحل بن حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد بن كعب ابن عامر بن كلاب: أصلح الله الأميرانبني اختنا مع الحسين فإن رأيت ان تكتب لهم أمانا فعلت.

قال: نعم ونعمه عين، فأمر كاتبه فكتب لهم أماناً ببعث به عبد الله بن أبي المحل مع مولى له يقال له: كزمان، فلما قدم عليهم دعاهم فقال: هذا أمان بعث به خالكم، فقال له الفتية: أقرئ خالنا السلام وقل له: إن لا حاجة لنا في إمانكم، إمان الله خير من إمان ابن سمية.

قال: فأقبل شمر بن ذي الجوشن بكتاب عبيد الله بن زياد إلى عمر بن سعد، فلما قدم به عليه فقرأ قال له عمر: مالك ويلك لاقرب الله دارك وقبع الله ما قدمت به علي، والله إني لا ظنك أنت ثنيته ان يقبل ما كتبت به إليه، أفسدت علينا امراً كنا رجونا ان يصلح، لا يستسلم والله الحسين عليه السلام ان نفساً أية لبين جنبيه.

فقال له شمر: أخبرني ما أنت صانع؟ أتمضي لأمر أميرك وتقتل عدوه ولأدخل بيني وبين الجندي والعسكر.

قال: لا ولا كرامة لك، وأنا أتولى ذلك.

قال: فدونك وكن أنت على الرجال قال: فتهض إليه عثبة الخميس لشمع

مضين من المحرم.



قال: وجاء شمر حتى وقف على أصحاب الحسين فقال: أين بنو أختنا؟
فخرج إليه العباس وجعفر وعثمان بنو على فقالوا له: مالك وما تريده؟
قال: أنتم يا بني أخي آمنون.

قال له الفتية: لعنك الله ولعن أمانك لأن كنت خالنا أتؤمننا وابن رسول الله لا
أمان له^(١)؟



(١) انظر مقتل الحسين لأبي مخنف: ١٠٦.

زينب عند بدء الحرب

وقال أبو مخنف: عن الحارث بن حصيرة عن عبد الله بن شريك العامري قال: ثم إن عمر بن سعد نادى يا خيل الله اركبي وأبشرى فركب في الناس ثم زحف نحوهم بعد صلوة العصر، وحسين جالس أمام بيته محتياً بسيفه إذ خفق برأسه على ركبتيه، وسمعت أخته زينب ص الصيحة فدنت من أخيها فقالت: يا أخي أما تسمع الأصوات قد اقتربت؟

قال: فرفع الحسين رأسه فقال: إني رأيت رسول الله ص في المنام فقال لي: إنك تروح إلينا، قال: فلطمته أخته وجهها وقالت: يا ويلتي، فقال ليس لك الويل يا أخي، اسكتي رحمك الرحمن وقال العباس بن علي: يا أخي أتابك القوم، قال: فنهض ثم قال: يا عباس اركب بنفسك أنت يا أخي حتى تلتقاهم فتقول لهم: ما لكم وما بداركم؟ وتسألهما عما جاء بهم. فأتاهم العباس فاستقبلهم في نحو من عشرين فارساً فيهم زهير بن القين وحبيب بن مظاهر، فقال لهم العباس ما بداركم وما تريدون؟

قالوا: جاء أمر الأمير بأن نعرض عليكم أن تنزلوا على حكمه أو ننازل لكم، قال: فلا تعجلون حتى ارجع إلى أبي عبد الله فاعرض عليه ما ذكرتم قال: فوافقوا ثم قالوا: القه فاعلمه ذلك، ثم القنا بما يقول: قال: فانصرف العباس راجعاً يركض إلى الحسين يخبره بالخبر، ووقف أصحابه يخاطبون القوم، فقال حبيب بن مظاهر لزهير بن القين: كلام القوم إن شئت وإن شئت كلمتهم، فقال له زهير أنت بدأت بهذا فكن أنت تكلمهم فقال له حبيب بن مظاهر: أما والله ليس القوم عند الله غداً قوم

يقدمون عليه، قتلوا ذرية نبيه ﷺ وعترته وأهل بيته عليهم السلام وعباد أهل هذا المصر المجتهدين بالاسحاق والذاكرين الله كثيراً فقال له عزرة بن قيس: إنك لتتركي نفسك ما استطعت، فقال له زهير: يا عزرة إن الله قد زكاها وهداها، فاتق الله يا عزرة فإني لك من الناصحين انشدك الله يا عزرة ان تكون ممن يعين الضلال على قتل النفوس الزكية، قال: يا زهير ما كنت عندنا من شيعة أهل هذا البيت إنما كنت عثمانياً.

قال: أفلست تستدل بموافي هذا إني منهم؟ أما والله ما كتبت إليه كتاباً قط، ولا أرسلت إليه رسولاً قط، ولا وعدته نصري قط، ولكن الطريق جمع بيني وبينه، فلما رأيته ذكرت به رسول الله ﷺ ومكانه منه، وعرفت ما يقدم عليه من عدوه وحزبك فرأيت ان انصره وإن أكون في حزبه وإن أجعل نفسي دون نفسه حفظاً لما ضيعتم من حق الله وحق رسوله ﷺ.

قال: وأقبل العباس بن علي يركض حتى انتهى إليهم فقال: يا هؤلاء ان أبا عبد الله يسئلكم ان تنصرفوا هذه العشية حتى ينظر في هذا الأمر، فإن هذا أمر لم يجر بينكم وبينه فيه منطق، فإذا أصحبنا التقينا إن شاء الله فأما رضيناه فاتينا بالأمر الذي تسألونه وتسومونه اوكرهنا فرددناه وإنما أراد بذلك ان يردهم عنه تلك العشية حتى يأمر بأمره ويوصي أهله، فلما أتاهم العباس بن علي بذلك قال عمر بن سعد: ماترى يا شمر؟

قال: ما ترى أنت، أنت الأمير والرأي رأيك، قال: قد أردت أن لا أكون، ثم أقبل على الناس فقال: ماذا ترون؟

فقال عمرو بن الحجاج بن سلمة الزبيدي: سبحان الله والله لو كانوا من الدليل ثم سألك هذه المنزلة لكان ينبغي لك أن تجيبهم إليها.

وقال قيس بن الأشعث: أجبهم إلى ما سألك، فلعمري ليصبحنك بالقتال غدوة.



فقال: والله لو أعلم أن يفعلوا ما اخرجتهم العشية، قال: وكان العباس بن علي حين أتى حسيناً بما عرض عليه عمر بن سعد قال: ارجع إليهم، فإن استطعت ان تؤخرهم إلى غدوة وتدفعهم عند العشية لعلنا نصلى لربنا الليلة وندعوه ونستغفره، فهو يعلم إني قد كنت احب الصلة له وتلاوة كتابه وكثرة الدعاء والاستغفار^(١).



(١) انظر مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف: ١٠٧.

دور زينب عند مقتل أهل البيت عليهم السلام

﴿ مقتل عترة الرسول ﴾

قال السيد مرتضى العسكري: لما لم يبق مع الحسين عليه السلام إلا أهل بيته اجتمعوا وودع بعضهم بعضاً وعزموا على الحرب^(١).

أقول: وسوف نسرد مقتل أهل البيت عليهم السلام ومن عدة مصادر ليقف القارئ على تفاصيل هذه الحوادث، وسوف ترى تفاوتاً في بعضها لا يخلوا من فائدة.



(١) مقتل الخوارزمي ٦/٢.

أول شهيد من عترة رسول الله

قال الطبرى: وكان أول قتيل من بنى أبي طالب يومئذ علي الأكبر بن الحسين ابن علي وأمه ليلي ابنة أبي مرة بن عروة بن مسعود الثقفى^(١) وكانت أم أمه ميمونة بنت أبي سفيان ابن حرب^(٢) ومن أجل هذا أعطى له الأمان يومذاك، وقالوا له كما ذكره المصعب الزبيري: «إن لك قرابة بأمير المؤمنين - يعني يزيد بن معاوية - ونريد أن يرعى هذا الرحم، فإن شئت آمناك».

فقال علي عليه السلام: «القرابة رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه أحق أن ترعاى» وحمل وهو يقول^(٣).

قال الخوارزمي: فلما رأه الحسين رفع شيبته نحو السماء، وقال: اللهم اشهد على هؤلاء القوم فقد برز إليهم غلام أشبه الناس خلقاً وخلقها ومنطقها برسولك محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه وكنا إذا اشتقنا إلى وجه رسولك نظرنا إلى وجهه، اللهم فامنعهم برؤس الأرض، وفرقهم تفرقاً ومزقهم تمزيقاً، واجعلهم طرائق قدداً، ولا ترض الولاة عنهم أبداً، فإنهم دعونا لينصروننا، ثم عدوا علينا بقاتلونا.

ثم صاح بعمر بن سعد: مالك قطع الله رحمك، ولا بارك لك في أمرك وسلط عليك من يذبحك على فراشك، كما قطعت رحمي ولم تحفظ قرابتي من رسول الله.

ثم رفع صوته وقرأ: «إِنَّ اللَّهَ أَنْطَقَ نَادِمَ وَنُوكَا وَهَالَ إِبْرَاهِيمَ وَهَالَ عَنْرَدَ عَلَى الْمَلَكِينَ ذُرَيْهُ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ تَبَعِّيْعُ عَلَيْهِ». الملائكة

(١) مقاتل الطالبيين ص ٨٠ وتاريخ الطبرى، ط / اروبا ٢٥٦ - ٣٥٧.

(٢) مقاتل الطالبيين ص ٨٠ ونسب قريش لمصعب ص ٥٧، والإصابة ٤/١٧٨ ترجمة أبي مرة.

(٣) نسب قريش ص ٥٧.

وحمل علي بن الحسين وهو يقول:

أنا علي بن الحسين بن علي

نحن وبيت الله أولى بالنبي

والله لا يحكم فيما ابن الداعي

أطعنكم بالرمح حتى ينثني

أضربكم بالسيف حتى يلتوي

ضرب غلام هاشمي على

فلم يزل يقاتل حتى ضج أهل الكوفة، ثم رجع إلى أبيه وقد أصابته جراحات كثيرة، فقال: يا أبا: العطش قد قتلني وثقل الحديد أجهضني، فهل إلى شربة من ماء سبيل أقوى بها على الأعداء؟ فبكى الحسين عليه السلام وقال: يابني عز على محمد، وعلى علي، وعلى أبيك أن تدعوه فلا يجيبونك وتستغيث بهم فلا يغيثونك.

ودفع إليه خاتمه، وقال له: خذ هذا الخاتم في فيك وارجع إلى قتال عدوك، فإني لأرجو أن لا تمسي حتى يسقيك جدك بكأسه الأولى شربة لا تظماً بعدها أبداً، فرجع علي بن الحسين عليه السلام إلى القتال وحمل وهو يقول:

الحرب قد بانت لها حقائق

وظهرت من بعدها مصادق

والله رب العرش لا نفارق

جموعكم أو تغمد البوارق^(١)

قال الطبرى: فعل ذلك مراراً فبصر به مرة بن منقذ بن النعمان العبدى ثم الليثى فقال: على آنام العرب إن مرّ بي يفعل مثل ما كان يفعل إن لم أثكله أباه فمر يشد على الناس بسيفه فاعتراضه مرة بن منقذ فطعنه فصرع واحتوشة الناس فقطعروه بأسيافهم.

(١) مقتل الخوارزمي ٣٠ / ٢ . ٣١

وقال الخوارزمي: ضربه منقذ بن مرة العبدى على مفرق رأسه ضربة صرعة فيها، وضربه الناس بأسيافهم، فاعتنق الفرس فحمله الفرس إلى عسكر عدوه، فقطعوه بأسيافهم إرباً إرباً، فلما بلغت روحه التراقي نادى بأعلى صوته: يا أباها! هذا جدي رسول الله قد سقاني بكأسه الأولى شربة لا أظلم بعدها أبداً وهو يقول لك: العجل فإن لك كأساً مذخورة، فصاح الحسين^(١).

وروى الطبرى: عن حميد بن مسلم الأزدي قال: سمع أذني يومئذ من الحسين يقول: قتل الله قوماً قتلوك يا بني ما أجرأهم على الرحمن وعلى انتهاك حرمة الرسول، على الدنيا بعدهك العفاء.

قال: وكأني أنظر إلى امرأة خرجت مسرعة كأنها الشمس الطالعة تنادي يا أخياء ويا بن أخاه قال فسألت عنها فقيل: هذه زينب بنت فاطمة بنت رسول الله فجاءت حتى أكبت عليه فجاءها الحسين، فأخذ بيدها، فردها إلى الفسطاط، وأقبل الحسين إلى ابنه وأقبل فتيانه إليه فقال: احملوا أخاكم فحملوه من مصرعه حتى وضعوه بين يدي الفسطاط الذي كانوا يقاتلون أمامه^(٢).



(١) مقتل الخوارزمي ٣١/٢.

(٢) معالم المدرستين للعسكري: ١٢٤/٣.

مُقْتَلُ إِخْوَةِ زَيْنَبِ^(١)

أبو بكر بن علي

قال: ثم تقدم اخوة الحسين عازمين على أن يقتلوا من دونه فأول من تقدم منهم أبو بكر بن علي، واسمه عبد الله، وأمة ليلي بنت مسعود بن خالد بن ربيع بن مسلم ابن جندل بن نهشل بن دارم التميمية فبرز أبو بكر وهو يقول:

شِيخِي عَلَى ذُو الْفَخَارِ الْأَطْوَلِ

مِنْ هَاشِمِ الصَّدَقِ الْكَرِيمِ الْمُفْضَلِ

هَذَا الْحَسَنُ ابْنُ النَّبِيِّ الْمَرْسُلِ

نَذُودُ عَنْهُ بِالْحَسَامِ الْفِيصلِ

تَفْدِيهِ نَفْسِي مِنْ أَخِ مَبْجُلِ

يَا رَبِّي فَامْنَحْنِي الثَّوَابَ الْمَجْزُلِ

فحمل زحر بن قيس النخعي فقتله عمر بن علي ، ثم خرج من بعد أبي بكر ابن علي، أخيه عمر بن علي ، فحمل وهو يقول:

أَضْرِبْكُمْ وَلَا أَرِي فِيكُمْ زَحْرَ

ذَاكَ الشَّقِيقِي بِالنَّبِيِّ قَدْ كَفَرَ

يَا زَحْرِي يَا زَحْرَ تَدَانَ مِنْ عَمَرِ

لَعْلَكَ الْيَوْمَ تَبُوءُ بِسَقْرَ

(١) إلى آخر هذا الفصل أوردناه بلفظ الخوارزمي ٢٨/٢ - ٢٩.



شر مكان في حريق وسر
 فإنك الجاحد يا شر البشر
 ثم قصد قاتل أخيه فقتله، وجعل يضرب بسيفه ضرباً منكراً
 ويقول في حملاته:
 خلوا عداة الله خلوا عن عمر
 خلوا عن الليث العبوس المكفهر
 يضربكم بسيفه ولا يفر
 وليس يغدو كالجبان المنجر
 ولم يزل يقاتل حتى قتل.





عثمان بن علي عليه السلام

قال: ثم خرج من بعده عثمان بن علي وأمه أم البنين بنت حزام بن خالد، من بني كلاب وهو يقول:

شيفي علي ذو الفعال الظاهر
إني أنا عثمان ذو المفاخر
صنوا النبي ذو الرشاد السائر
ما بين كل غائب وحاضر
ثم قاتل حتى قتل.



جعفر بن علي

ثم خرج أخوه جعفر بن علي وأمه أم البنين أيضاً فحمل وهو يقول:
 اني أنا جعفر ذو المعالي
 نجل علي الخبر ذو النوال
 أحمي حسيناً بالقنا العمال
 وبالحسام الواضح الصفال
 ثم قاتل حتى قتل.



عبد الله بن علي عليه السلام

ثم خرج من بعده أخوه عبد الله بن علي، وأمه أم البنين أيضاً، فحمل وهو يقول:

أنا ابن ذي النجدة والفضائل
ذاك على الخير في الفعال
سيف رسول الله ذو النكال
وكاشف الخطوب والأهوال
فحمل وقاتل حتى قتل^(١).

وروى الطبرى عن حميد بن مسلم قال: سمعت الحسين يومئذ وهو يقول:
اللهم أمسك عنهم قطر السماء وامتعهم برثى الأرض اللهم فإن متعمهم إلى حين
ففرقهم فرقاً واجعلهم طرائق قدداً ولا ترض عنهم الولاة أبداً.

فإنهم دعونا لينصروننا فعدوا علينا فقتلونا قال: وضارب الرجال حتى انكشفوا
عنه، قال: ولما بقي الحسين في ثلاثة رهط أو أربعة، دعا بسراويل محققة يلمع فيها
البصر يمامي محقق ففرزه ونكله لكي لا يسلبه فقال له بعض أصحابه: لو لم تستتحته
تبانا قال ذلك ثوب مذلة ولا ينبغي لي أن ألبسه قال: فلما قتل أقبل بحر بن كعب
فسلبه إياه فتركه مجرداً.

قال أبو مخنف: فحدثني عمرو بن شعيب عن محمد بن عبد الرحمن أن يدي
بحر بن كعب كانتا في الشتاء تنضحان الماء وفي الصيف تيسان كانهما عود.



(١) أورد الطبرى ومن تبعه خبر مقتل أخيه الحسين ببايجاز، وفي مناقب ابن شهرآشوب أورد
ارجاز أخيه العباس لامة وما أردناه هنا نقلناه من مقتل الخوارزمي ٢٨/٢ - ٢٩ وبلفظه.

مقتل العباس بن أمير المؤمنين ﷺ

في مقاتل الطالبين: كان رجلاً وسيماً جميلاً يركب الفرس المطهّم ورجلاء تخطّان في الأرض، وكان يقال له: قمر بنى هاشم، وكان لواء الحسين معه يوم قتل، وهو أكبر ولد أم البنين وهو آخر من قتل من أخوته لامه وأبيه^(١).

وفي مقتل الخوارزمي: ثم خرج العباس وهو السقاء فحمل وهو يقول:

أقسمت بالله الأعز الأعظم وبالحجون صادقاً وزمز
وبالحطيم والفناء المحرم ليخضبن اليوم جسمي بدمي
دون الحسين ذي الفخار الأقدم امام أهل الفضل والتكرم^(٢)

وفي الارشاد ومثير الأحزان واللهو^(٣): واشتد العطش بالحسين ﷺ فركب المسناة يريد الفرات وبين يديه العباس أخوه فاعتربه خيل ابن سعد.

وفي مناقب شهرآشوب: مضى يطلب الماء فحملوا عليه وحمل عليهم وهو يقول:

حتى أوارى في المصائب لقا	لا أرهب الموت إذا الموت رقى
أنى أنا العباس أغدو بالسقا	نفسي لابن المصطفى الطهر وقا
ففرقهم فكم ن	ولا أخاف الشر يوم الملتقى

(١) مقاتل الطالبين ص ٨٤.

(٢) مقتل الخوارزمي ٢٩/٢ - ٣٠.

(٣) الارشاد ص ٢٤، وإعلام الورى ص ٢٤٤، ومثير الأحزان ص ٥٣، واللهو ص ٤٥.

زيد بن الورقاء الجهني من وراء نخلة وعاونه حكيم بن طفيل السنبي فضربه على يمينه فأخذ السيف بشماله وحمل عليه وهو يرتجز:
 والله ان قطعتموا يميني اني أحامي أبدا عن ديني
 وعن امام صادق اليقين نجل النبي الطاهر الأمين
 فقاتل حتى ضعف، فكمن له الحكيم بن الطفيل الطائي من وراء نخلة فضربه على شماله، فقال:

يا نفس لا تخشى من الكفار
 وأبشرى برحمة الجبار
 قد قطعوا ببغיהם يساري
 فأصلهم يا رب حر النار فقتله الملعون بعمود من حديد^(١).
 وفي مقتل الخوارزمي: فقال الحسين عليه السلام: الآن انكسر ظهي وقتلت حيلتي ..^(٢)

وقال في البحار: وكان العباس سقاء الحسين عليه السلام صاحب لواه وهو أكبر الاخوان مضى بطلب الماء فحملوا عليه وحمل عليهم فكمن له زيد بن ورقاء من وراء نخلة فضربه على يمينه فأخذ السيف بشماله وقاتل ثم قطعت شماله فقاتل حتى ضربه ملعون بعمود على رأسه، فلما رأه الحسين عليه السلام صريعاً على شاطئ الفرات بكى وقال شعراً:

وخالفتموا دين النبي محمد تعديت يا شرّ قوم ببغيكم
 أما نحن من نجل النبي المسدّد أما كان خير الرسل أو صاكم بنا
 أما كان من خير البرية أحمد لعنتم وأخزيتكم بما قد جنّيتموا
 فسوف تلاقوا حرّ نار ثُوقد

(١) مناقب ابن شهر آشوب ٢٢١ / ٢ - ٢٢٢.

(٢) مقتل الخوارزمي ٣٠ / ٢.

وروي أن العباس لما رأى وحدة الحسين  أتاه وقال: يا أخي هل من رخصة، فبكى الحسين وقال: أنت صاحب لوايي وإذا مضيت تفرق عسكري فقال العباس: قد سئمت من الحياة وأريد أن أطلب ثاري من هؤلاء المنافقين فقال له: فاطلب لهؤلاء الأطفال قليلاً من الماء، فركب وأخذ رمحه والقرية وقدد الفرات فأحاط به أربعة آلاف ممّن كانوا موكلين بالفرات ورموه بالنبال فقتل منهم ثمانين رجلاً، فلما أراد أن يشرب غرفة من الماء ذكر عطش الحسين فرمى بالماء وملأ القرية وحملها على كتفه فقطعوا عليه الطريق ثم قطعوا يده اليمنى فحمل القرية باليسرى ثم قطعها نوبل من الزند فحمل القرية بأسنانه فجاءه سهم فأصاب القرية فأريق ما فيها ثم جاءه سهم أصاب صدره فانقلب عن فرسه وصاح إلى أخيه الحسين: أدركني فأتى إليه وحمله إلى الخيمة.

ولما قتل العباس قال الحسين : الآن انكسر ظهري وقلت حيلتي ^(١).



فضيلة شهادة العباس

قال السيد الخامنئي : وأما وفاة أبي الفضل العباس فقد تجسد لدى بلوغه شريعة الفرات دون أن يشرب قطرة من مائه ؛ فالمشهور على كل الألسنة هو أن الإمام الحسين عليه السلام بعث بأبي الفضل لجلب الماء ، إلا أنَّ الذي شاهدته من الروايات المعتبرة الواردة في كتب مثل «الارشاد» للمفيد ، و«اللهوف» لابن طاووس فلقد جاء في هذه الكتب المعتبرة أنَّ العطش كان قد اشتدَّ بالصبية والصبايا وبلغ مبلغه من حرم آل البيت ، فذهب الإمام الحسين عليه السلام وأبو الفضل معاً في طلب الماء ، وتوجهَا إلى شريعة الفرات لعلَّهما يحصلان على بعض الماء .

فيهذان الاثنان من الأخوة الشجعان والأقواء كانوا معاً دائمًا في ساحة القتال ، أي الإمام الحسين عليه السلام بعمره الذي يشرف على الستين عاماً ولكنه لا يشق له غبار في البسالة والقوة ، وأخوه الشاب أبو الفضل العباس الذي جاوز الثلاثين بقليل من عمره بما يتميز به من خصال يعرفها الجميع . فيهذان الأخوان لم يفارق أحدهما الآخر في ساحة الحرب ، وكان كل منهما يحمي ظهر الآخر عند اشتداد القتال وتخلل صفوف الأعداء أملاً في الوصول إلى الفرات وجلب الماء .

وخلال هذه الجولة من المعركة شعر الإمام الحسين عليه السلام فجأة بأن العدو قد فصل بينه وبين أخيه العباس لدى اشتداد القتال ؛ وفي هذه المimumة كان أبو الفضل قد اقترب من الماء ووصل إلى شريعة النهر .

وكما جاء في الروايات ، فإنه ملأ قريةً بالماء للعودة بها إلى الخيام ؛ وفي مثل هذه الحالة يعطي كل واحد الحق لنفسه بأن يروي ظماء ، ولكن أبا الفضل العباس أظهر وفاته في هذا الموقف الصعب . فعندما غرف غرفة من الماء ذكر عطش الإمام

الحسين عليه السلام، وتذكر صيحات: العطش.. العطش.. التي أطلقها الصبية والصبايا، وربما تذكر بكاء على الأصغر الظمآن، فلم يشرب وألقى الماء وغادر الشريعة. وحيثند وقعت تلك الأحداث عندما سمع الإمام الحسين عليه السلام فجأة صوت أخيه قادماً من وسط جند الأعداء وهو يصرخ: «يا أخاه أدرك أخاك»^(١).



(١) انظر العوالم: ٢٨٥.

بصيرة العباس

ثم قال السيد الخامئني : فأين تكمن بصيرة أبي الفضل العباس؟ لقد كان أولئك جمِيعاً من أولي البصائر، إلا أنه كشف عن بصيرة أكبر؛ ففي يوم تاسوعاء، عندما سُنحت له الفرصة للخلاص من هذا البلاء حيث افترحوا عليه الاستسلام في مقابل إعطاءه الأمان، فإنه كان شهماً لدرجة أفحمت الأعداء، وقال لهم: وهل أتخلَّ عن الحسين عليه السلام؟! الويل لكم! أفت لكم ولآمانكم هذا!^(١)، وفي رواية أنه قال له: بترت يدك ولعن ما جئتنا به من آمانك يا عدو الله، أتأمرنا أن نترك أخانا وسيدنا الحسين بن فاطمة وندخل في طاعة اللعنة وأولاد اللعنة.

وَثُمَّة نموذج آخر لبصيرته، وذلك عندما أمر ثلاثة من إخوته الذين كانوا معهم بالتقدم قبله إلى ميدان الحرب والجهاد حتى بلوغ الشهادة. فإنكم على علم بأنهم كانوا أربعة إخوة من أم واحدة، وهم: أبو الفضل العباس - الأخ الأكبر - وجعفر وعبد الله وعثمان. فأن يضحي المرء بإخوته الثلاثة أمام عينيه من أجل الحسين ابن علي دون التفكير في أمه المحزونة أو الاكتفاء بواحد منهم حفاظاً على مشاعر أمه والاهتمام بمصير إخوته الصغار ومن سيقول لهم في المدينة المنورة، فهذه هي البصيرة.



(١) انظر العالم: ٢٤٢، ولواجع الأشجان: ١١٦.

شأن و منزلة أبي الفضل العباس

وقال: قد دأب الخطباء وأهل الرثاء على الحديث حول شهادة أبي الفضل العباس. إنَّ الذي يبدو من كافة الشواهد والأدلة هو أنَّ أبي الفضل العباس كان آخر من استشهد قبل الإمام الحسين عليه السلام من المجاهدين، باستثناء الطفل البالغ ستة أشهر من عمره أو الصبي البالغ أحد عشر عاماً.

وكانت تلك الشهادة فداءً لعمل عظيم أقدم عليه، ألا وهو جلب الماء للعطاشى في خيام أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

وبالنظر في تلك الزيارات والتمعن في تلك الكلمات الواردة عن الأئمة عليهم السلام بشأن أبي الفضل العباس عليه السلام، فإننا نكتشف أنه تم تأكيد خصلتين: الأولى بصيرة، والثانية الوفاء^(١).



(١) ثورة عاشوراء شمس الشهادة: ٢٧٦ - ٢٧٨.



مُقْتَلُ أَطْفَالِ آلِ الرَّسُول ﷺ

﴿ زَيْنَبُ عَنْدَ قَتْلِ الْطَّفْلِ الرَّضِيعِ ﴾

في مقتل الخوارزمي وغيره: تقدم الحسين <ص> إلى باب الخيمة وقال: ناولوني علياً الطفل حتى أودعه، فناولوه الصبي، فجعل يقبله ويقول: ويل لهؤلاء القوم إذ كان خصمهم جدك، وبينما الصبي في حجره إذ رماه حرملة بن كاهل الأسدى فذبحه في حجره فتلقى الحسين دمه حتى امتلأت كفه ثم رمى به نحو السماء، وقال: اللهم ان حبست عنا النصر فاجعل ذلك لما هو خير لنا، وانتقم من هؤلاء الظالمين، ثم نزل الحسين عن فرسه وحفر للصبي بجفن سيفه وزمله بدمه وصلى عليه^(١).

وقال في البحار: ثم التفت الحسين <ص> يميناً وشمالاً فلم ير أحداً من الرجال، فخرج علي بن الحسين زين العابدين وكان مريضاً فقال الحسين: يا أم كلثوم خذيه لثلا تبقى الأرض خالية من نسل آل محمد وتقدم الحسين إلى باب الخيمة فقال: ناولوني ابني علياً الطفل حتى اودعه.

وقال المفيد: دعى ابنه عبدالله فجعل يقبله والصبي في حجره إذ رماه حرملة بن كاهل الأسدى بسهم فذبحه فتلقى الحسين <ص> دمه حتى امتلأت كفه ثم رمى به إلى السماء ولم يسقط منه قطرة إلى الأرض^(٢).

والطفل هو عبد الله بن الحسين بن علي بن أبي طالب <ص>، ولد في المدينة.

(١) مقتل الخوارزمي ٣٢/٢، وتأريخ الطبرى ط/أروبا، ٣٦٠/٢، وابن كثير ١٨٨/٨.

(٢) بحار الانوار للعلامة المجلسي: ٤٥/٤٦، وكلمات الامام الحسين: ٤٧٦.

وقيل: في الطف ولم يصح وأمه الرباب بنت امرئ القيس بن عدي بن اوس بن جابر بن كعب بن عليم بن جناب بن كلب وامها هند الهنود بنت الريبع بن مسعود بن مصاد بن حصن بن كعب المذكور. وامها ميسون بنت عمرو بن ثعلبة بن حصين بن ضمضم وامها الرباب بنت اوس بن حارثة ابن لام الطائي وهي التي يقول فيها أبو عبد الله الحسين عليه السلام.

لعمرك اننى لأحب دارا
تحل بها سكينة والرباب
احبهما وابذل جل مالي
وليس لعاتب عندي عتاب

وكان امرء القيس زوج ثلاث بناته في المدينة من أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام، وقصته مشهورة فكانت الرباب عند الحسين عليه السلام، وولدت له سكينة وعبد الله هذا.

قال المسعودي والاصبهاني والطبرى وغيرهم: ان الحسين لما آيس من نفسه ذهب إلى فسطاطه فطلب طفلاً له ليودعه، فجاءته به اخته زينب، فتناوله من يدها ووضعه في حجره، فبينا هو ينظر إليه إذ إتاه سهم فوقع في نحره فذبحه.

قالوا: فأخذ دمه الحسين عليه السلام بكفه ورمى به إلى السماء وقال: اللهم لا يكن أهون عليك من دم فضيل، اللهم ان حبست عنا النصر من السماء فاجعل ذلك لما هو خير لنا، وانتقم لنا من هؤلاء الظالمين، فلقد هون ما بي انه بعينك يا أرحم الرحيمين.

قالوا: فروى عن الباقر عليه السلام انه لم تقع من ذلك الدم قطرة إلى الأرض.

ثم إن الحسين عليه السلام حفر له عند الفسطاط حفيرة في جهن سيفه فدفنه فيها بدمائه ورجع إلى موقفه. وروى أنه أخذ الطفل من يدي اخته زينب فأوسى إليه ليقبله، فاتته

نشابة فذبحته، فأعطيه إلى اخته وقال: خذيه إليك، ثم فعل ما فعل بدمائه، وقال ما قال بدعائه. وروى أبو مخنف أن الذي رماه بالسهم حرملة بن الكاهن الأسدية وروى غيره أن الذي رماه عقبة بن بشر الغنوبي، والأول هو المروي عن أبي جعفر محمد الباقر عليه السلام.

بالرضي مع إتاء سهم ردي
حيث أبوه كالقوس من شفقة
قد خضبت جسمه الدماء فقل
بدر سماء قد اكتسى شفقة
الحجر هو بتشليث الحاء المهملة وبعدها الجيم الساكنة حضن الانسان. الكاهن بالنون ويجرى على بعض الاسن ويمضي في بعض الكتب باللام، والممضبوط خلافه. الشفقة الاولى الحذر من جهة المحبة والثانية هي شفق مضاف إلى ضمير البدر، والشفق هو الحمرة الشديدة عند أول الليل بين المغرب والعشاء^(١).



(١) انظر إبصار العين في أنصار الحسين (ص ٢٤ ط النجف).

مقتل طفل آخر للحسين

قال الطبرى: ورمى عبد الله بن عقبة الغنوى أبا بكر بن الحسين بن علي بسهم
قتله فلذلك يقول الشاعر وهو ابن أبي عقب:

وعند غنى قطرة من دمائنا

وفي أسد أخرى تعدد وتذكر^(١)
أقول: يس كل أرباء السير والمقاتل يذكرون مقتل طف غير الطفل الرضيع
للإمام الحسين ، فتأمل.



(١) معالم المدرستين للعسكري: ١٣١/٣

مُقْتَلُ طَفْلِ الْإِمَامِ الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قال الطبرى: ثم أن شمر بن ذي الجوشن أقبل في الرجال نحو الحسين فأخذ الحسين يشد عليهم فينكشفون عنه ثم إنهم أحاطوا به إحاطة وأقبل إلى الحسين عبد الله بن الحسن^(١) من عند النساء وهو غلام لم يراهن فأخذته أخته زينب ابنة علي لتجسمه، فقال لها الحسين: أحبسيه فأبى الغلام.

وجاء يشتد إلى الحسين فقام إلى جنبه، قال: وقد أهوى بحر بن كعب بن عبيد الله من بني تيم الله بن ثعلبة بن عكابة إلى الحسين بالسيف فقال الغلام: يا ابن الخبيثة أقتل عمى؟! فضربه بالسيف فاتقه الغلام بيده، فأطنه إلأ الجلد فإذا يده معلقة فنادى الغلام يا أماته فأخذه الحسين فضممه إلى صدره وقال: يا ابن أخي اصبر على ما نزل بك، واحتسب في ذلك الخير، فإن الله يلحقك بآبائك الصالحين برسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب وحمزة وجعفر والحسن بن علي صلى الله عليهم أجمعين!

وروى الطبرى: قال: ومكث الحسين طويلاً من النهار كلما انتهى إليه رجل من الناس انصرف عنه، وكروه ان يتولى قتله وعظيم إثمها عليه قال: وان رجلاً يقال له: مالك بن نمير منبني بدأ أباه وضربه على رأسه بالسيف وعليه برنس له فقطع البرنس وأصاب السيف رأسه فأدمى رأسه فامتلا البرنس دما فقال له الحسين: لا أكلت بها ولا شربت وحضرك الله مع الظالمين.

(١) في الطبرى ط/أروبا، ٢/٣٦٣: «غلام من أهله» والتصحيح من ارشاد المفيد ص ٢٢٥.

قال: فألقى ذلك البرنس ثم دعا بقلنسوة فلبسها واعتم وقد أعيا وبليد وجاء الكندي حتى أخذ البرنس وكان من خز فلما قدم به بعد ذلك على امرأته أم عبد الله ابنة الحر أخت حسين بن الحر البدي أقبل بغسل البرنس من الدم فقالت له امرأته: أسلب ابن بنت رسول الله تدخل بيتي، أخرجه عني، فذكر أصحابه أنه لم يزل فقيراً بشر حتى مات^(١).



(١) معالم المدرستين للعسكري: ١٣٣/٣.

جيش الخلافة يهجم على خيم النساء

قال أبو مخنف في حديثه: ثم إن شمر بن ذي الجوشن أقبل في نفر نحو من عشرة من رجاله أهل الكوفة قبل منزل الحسين الذي فيه ثقله وعياله فمشى نحوه فقال الحسين: ويلكم إن لم يكن لكم دين ولا تخافون يوم المعاد، فكونوا في أمر دنياكم أحراها ذوي أحساب امنعوا رحلي وأهلي من طغامكم وجهالكم! فقال ابن ذي الجوشن: ذلك لك يا ابن فاطمة.

قال: وأقدم عليه بالرجالة منهم أبو الجنوب وأسمه عبد الرحمن الجعفي والقشعن بن عمرو بن يزيد الجعفي وصالح بن وهب اليزيدي وسانان ابن أنس النخعي وخولي بن يزيد الأصبهي، فجعل شمر ابن ذي الجوشن يحرضهم فمر بأبي الجنوب وهو شاك في السلاح فقال له: أقدم عليه قال: وما يمنعك أن تقدم عليه أنت؟

وقال له شمر: ألي تقول ذا؟

قال: وأنت لي تقول ذا؟ فاستبا فقال له أبو الجنوب: وكان شجاعاً: والله لهممت أن أخضخ السنان في عينك قال: فانصرف عنه شمر وقال: والله لأن قدرت على أن أضرك لأضرنك^(١).



(١) معالم المدرستين للعسكري: ١٣٤/٣.

صرخة زينب عند آخر قتال الحسين

قال السيد مرتضى العسكري: وروى الطبرى عن أبي مخنف عن الحجاج بن عبد الله بن عمار بن عبد يغوث البارقى أنه عتب على عبد الله بن عمار مشهده قتل الحسين فقال عبد الله بن عمار: إن لي عند بني هاشم ليدا قلنا له: وما يدك عندهم؟

قال: حملت على الحسين بالرمح فانتهيت إليه فوالله لو شئت لطعنته ثم انصرفت عنه غير بعيد وقلت ما أصنع بأن أتولى قتله يقتله غيري، قال: فشد عليه رجالة من عن يمينه وشماله، فحمل على من عن يمينه حتى أذعوا، وعلى من عن شماله حتى أذعوا، وعليه قميص له من خز وهو معتم، قال: فوالله ما رأيت مكتوراً قد قتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جاشا ولا أمضى جنانا منه ولا أجرأ مقدماً، والله ما رأيت قبله ولا بعده مثله إن كانت الرجالة لتنكشف من عن يمينه وشماله انكشف المعزى إذا شد فيها الذئب.

قال: فوالله انه كذلك إذ خرجت زينب ابنة فاطمة أخته وهي تقول: ليت السماء تطابقت على الأرض، وقد دنا عمر بن سعد من حسين فقالت: يا عمر بن سعد أيقتل أبو عبد الله وأنت تنظر إليه؟

قال: فكأني أنظر إلى دموع عمر وهي تسيل على خديه ولحنته قال: وصرف بوجهه عنها.



مقتل سبط النبي ﷺ برواية أبو مخنف

قال أبو مخنف: حدثني الصقعب بن الزبير عن حميد بن مسلم قال: كانت عليه جبة من خز وكان معتماً وكان مخصوصاً باللوسمة قال: سمعته يقول قبل أن يقتل وهو يقاتل على رجليه قتال الفارس الشجاع يتقى الرمية ويفترض العورة ويشد على الخيل وهو يقول: أعلى قتلي تحاثون أما والله لا تقتلوني بعدى عبداً من عباد الله الله أخط عليكم لقتله مني! وأيم الله إني لأرجو أن يكرمني الله بهوانكم ثم يتقم لي منكم من حيث لا تشعرون أما والله إن لو قتلتوني لقد القى الله بأسكم بينكم وسفك دماءكم، ثم لا يرضي لكم بذلك حتى يضاعف لكم العذاب الأليم.

قال: ولقد مكث طويلاً من النهار ولو شاء الناس أن يقتلوه لفعلوا، ولكنهم كان يتقى بعضهم بعض، ويحب هؤلاء أن يكفيهم هؤلاء.

قال: فنادي شمر في الناس: ويحكم ماذا تنتظرون بالرجل! اقتلوه ثكلتكم أمهاتكم! قال: فحمل عليه من كل جانب فضررت كفه اليسرى ضربها شريك التميي وضرب على عاتقه ثم انصرفوا وهو ينوء ويكتبو.

قال: وحمل عليه في تلك الحال سنان بن أنس بن عمرو النخعي فطعنه بالرمح فوقع، ثم قال لخولي بن يزيد الأصبهي احتز رأسه فأراد أن يفعل فضعف فارعد فقال له سنان بن أنس: فت الله عضديك وأبان يديك فنزل إليه فذبحه واحتز رأسه ثم دفع إلى خولي بن يزيد وقد ضرب قبل ذلك بالسيوف.

قال أبو مخنف عن جعفر بن محمد بن علي قال: وجد بالحسين عليه السلام حين قتل ثلاث وثلاثون طعنة وأربع وثلاثون ضربة.

قال: وجعل سنان بن أنس لا يدنو أحد من الحسين إلا شد عليه مخافة أن يغلب على رأسه حتى أخذ رأس الحسين عليه السلام فدفعه إلى الخولي ^(١).

(١) معالم المدرستين للعسكري: ١٣٦/٣.

جيش الخلافة يسلب نساء وأطفال الحسين

قال: سلب الحسين عليه السلام ما كان عليه فأخذ سراويله بحر بن كعب وأخذ قيس بن الأشعث قطيفته وكانت من خز و كان يسمى بعد قيس قطيفة وأخذ نعليه رجل من بني أود يقال له: الأسود وأخذ سيفه رجل من بني نهشل بن دارم فوقع بعد ذلك إلى أهل حبيب بن بدبل.

قال: ومال الناس على الورس والحلل والإبل وانتهواها .

قال: ومال الناس على نساء الحسين وثقله ومتاعه فإن كانت المرأة لتنازع ثوبها عن ظهرها حتى تغلب عليه فيذهب به منها^(١).



(١) معالم المدرستين للعسكري: ١٣٦/٣.

وطئي الخيل لجسد الحسين

قال السيد العسكري: ثم إن عمر بن سعد نادى في أصحابه من ينتدب للحسين ويوطئه فرسه فانتدب عشرة منهم إسحاق بن حياة الحضرمي وهو الذي سلب قميص الحسين عليه السلام فبرص بعد وأحبش بن مرثد بن علقة بن سلامة الحضرمي فأتوا فداساوا الحسين بخيولهم حتى رضوا ظهره وصدره فبلغني أن أحبش بن مرثد بعد ذلك بزمان أتاه سهم غرب وهو واقف في قتال فقلق قلبه فمات^(١).

أقول: يشكل البعض بتجربة الأعداد وطئي الجسد الشريف للإمام الحسين عليه السلام وذلك ليس من باب رحمتهم أو عطفهم أو حتى احتشامهم، إنما لما يروه من توهين لشخص الإمامة ومقامها الرفيع. وعلى كل حال نقل الكثير من أرباب السير والمقاتل هذه الحادثة المؤلمة والله أعلم بحقيقة الحال.

ومما لا شك فيه أن وطئ الخيل لو حصل فهو بمرىء زينب عليها السلام ولا أدرى كيف يمكن للمرىء أن يصف تلك الحالة التي كانت عليها سيدتنا زينب عليها السلام.



(١) معالم المدرستين للعسكري: ١٢٢ / ٣ - ١٣٧.

شهادة أبناء زينب بنت علي تات

قال السيد القرشي : وتسابقت الفتية من أبناء عبد الله بن جعفر إلى الجهاد بين يدي ريحانة رسول الله ﷺ وهم :

شهادة عون بن عبد الله

وأمه العقيلة زينب بنت الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، وقد برز إلى ساحة الجهاد فجعل يقاتل قتال الأبطال وهو يرتجز :

إن تنكروني فأنَا ابن جعفر شهيد صدق في الجنان أزهر
يطير فيها بجناح أخضر كفى بهذا شرفاً من عشر

وقد عرف نفسه بأنه ابن جعفر الشهيد الخالد في الإسلام الذي قطعت يداه في سبيل الدعوة الإسلامية ، فأبدله الله بهما جناحين يطير بهما في الفردوس الأعلى حسبما يقول الرسول الأعظم ص ويكتفي عوناً شرفاً ومجدًا انه حفيد هذا الرجل العظيم.

وجعل يقاتل فحمل عليه عبد الله بن قتبة الطائي فقتله ، وقد رثاه سليمان بن قتة بقوله :

واندبي إن بكىتن عوناً أخاه ليس فيما ينويهم بخذلول
فلعمرى لقد أصبت ذوى القر بي فبكى على المصاب الطويل^(١)

(١) حياة الإمام الحسين عليه السلام للقرشي : ٣/١٧٦.

شهادة محمد بن عبد الله بن جعفر

ويرز إلى حومة الحرب محمد بن عبد الله بن جعفر، وامه الخوصا منبني بكر ابن وائل وجعل يقاتل وهو يرتجز:

نشكوا إلى الله من العدوا
قتل قوم في الردى عميان
قد بدلوا معالم القرآن
ومحكم التنزيل والتبیان
لقد شکا إلى الله
وأظهروا الكفر مع الطغيان
بهذا الرجز ما يعانيه أهل البيت عليهم السلام من الظلم والاعتداء من تلك العصابة
الباغية التي عميت عن الحق وتردت في الضلال وبدللت أحكام القرآن، وأظهرت
الكفر والطغيان.

وقاتل الفتى أعنف القتال فحمل عليه عامر بن نهشل التميمي فضربه بالسيف
فهوى جسمه الخضيب على رمضاء كربلاء، ولم يلبث أن لفظ أنفاسه الأخيرة وقد
رثاه سليمان بن قتة بقوله:

وسماي النبي غودر فيهم
قد علوه بصارم مصقول
 فإذا ما بكى عيني فجودي
بدموع تسيل كل مسيل^(١)
وقال في البحار: وخرج من بعده محمد بن عبد الله بن جعفر الطيار فقتل منهم
عشرة ثم قتل عامر التميمي وخرج من بعده أخوه عون وقتل ثمانية عشر رجلاً وثلاثة
فوارس وقتل ابن بطة ثم خرج القاسم بن الحسن وهو غلام صغير لم يبلغ الحلم
فاستأذن الحسين عليه السلام فأبى أن يأذن له فلم ينزل يقبل يديه ورجليه حتى أذن له فخرج
ودموعه تسيل على خديه وهو يقول شعراً:

إن تنكروني فأنَا ابن الحسن سبط النبي المصطفى والمؤمن
فقتل منهم خمسة وثلاثين رجلاً فضربه عمر الأزدي بالسيف على رأسه فوق
الغلام لوجهه ونادى يا عمّاه فجاءه الحسين عليه السلام كالصقر المنقض فقتل قاتله وحملت

(١) حياة الحسين للقرشي: ١٧٦/٣.

خيل أهل الكوفة فجرحه بحوارها حتى مات الغلام فانجلت الغبرة فإذا الحسين واقف على رأس الغلام وهو يفحص برجله فقال الحسين ﷺ: يعزّ والله على عّمك أن تدعوه فلا يجيئك أو يجيئك فلا يعينك فلا يُعني عنك بعدها لقوم قتلوك، ثم احتمله حتى ألقاه بين القتلى من أهل بيته.

شهادة عبيد الله بن عبد الله جعفر

قال السيد القرشي : وعبيد الله أمه الخوصا بنت حفصة، وقد برز إلى الجهاد فقتل.



موقف عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عند مقتل بنيه

قال هشام عن أبي مخنف عن سليمان بن أبي راشد عن عبد الرحمن بن عبيد أبي الكنود قال: لما بلغ عبد الله بن جعفر بن أبي طالب مقتل ابنيه مع الحسين عليه السلام دخل عليه بعض مواليه والناس يعزونه، قال: ولا أظن مولاه ذلك إلا أبا اللسلام، فقال: هذا ما لقينا ودخل علينا من الحسين.

قال: فحذفه عبد الله بن جعفر بنعله ثم قال: يا ابن اللخاء للحسين تقول هذا؟ والله لو شهدت لأحببت أن لا أفارقه حتى أقتل معه، والله إنه لمما يسخي بمنفسي عنهمما ويجهون على المصاب بهما، أنهما أصيباً مع أخي وأبن عمي مواسيين له صابرين معه ثم أقبل على جلسائه فقال: الحمد لله عزّ عليّ بمصرع الحسين أن لا يكن آست حسيناً يديّ فقد آساه ولدي ^(١).



(١) مقتل الحسين لأبي مخنف: ٢٣١.



روايات أخرى لمقتل أهل البيت عليهم السلام

❖ شهادة أخوة زينب برواية أخرى

قال السيد القرشي : وبعدهما استشهدت الصفوـة الطيبة من أهل البيت عليهم السلام ولم يبق مع الإمام الحسين عليه السلام سوى أخوته من أبيه هبوا للجهاد، ووطّنوا نفوسهم على الموت ليقدوا ريحانة رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه بنفسهم ومهجهم.



العباس مع أخوته

ولما رأى بطل هاشم وفخر عدنان العباس ابن الإمام أمير المؤمنين كثرة القتلى من أهل بيته التفت إلى أخوته من أبيه وأمه فقال لهم :

«تقدمويا يا بني أمي حتى أراكم نصختم الله ولرسوله فإنه لا ولد لكم...».

وكشفت هذه الكلمات عن مدى إيمانه العميق، فهو يطلب من أخوته أن يكونوا قرابين لله، ويراهם في جهادهم قد نصحوا لله ورسوله ولم يلحظ في جهادهم أي اعتبار آخر من النسب وغيره... والتفت أبو الفضل إلى أخيه عبد الله، وكان أكبر أخوانه سناً فقال له :

«تقدمنا يا أخي حتى أراك قبلاً واحتسبك».

واستجابت الفتية إلى نداء الحق، فتقدمووا إلى الجهاد بعزم وإخلاص.





قول رخیص

قال القرشي : وان من أرخص الأقوال وأهزلها ما ذكره ابن الأثير أن العباس ﷺ قال لأخوه : «تقدموا حتى ارثكم فإنه لا ولد لكم» لقد قالوا بذلك يقللوا من أهمية هذا العملاق العظيم الذي هو في طبيعة رجال الإسلام بذلاً وتضحية في سبيل الله ، وهل من الممكن أن يفكر العباس ﷺ في الناحية المادية في تلك الساعة الرهيبة التي كان الموت المحتم منه كقاب قوسين أو أدنى ، مضافاً إلى المحن الشاقة التي أحاطت به ، فهو يرى الكواكب من أبناء أخيته وعمومته صرعى على الأرض ، ويسمع ضجيج حرائر النبوة وكرائم الوحي ، ويسمع صرخ الأطفال وهم ينادون العطش العطش ، ويرى آخاه قد أحيط به وهو يستغيث فلا يغاث ، فقد استوعبت هذه الرزایا التي تذهل الألباب جميع مشاعره وعواطفه ولم يكن يفكر إلا بسرعة الرحيل عن هذه الدنيا ، ومضافاً لذلك كله فإن أم البنين أم العباس كانت حية فهي التي تحوز ميراث أبنائهما لأنها من الطبقة الأولى ، ولعل الوارد حتى أثاركم أي أطلب بثاركم فحرف ذلك .



مصرع عبد الله ابن أمير المؤمنين

ويرز عبد الله ابن أمير المؤمنين وأمه أم البنين إلى ساحة الجهاد والتحم مع الأعداء وهو يرتجز :

شيخي علي ذو الفخار الأطول
من هاشم الخير الكريم المفضل
هذا حسين ابن النبي المرسل
عنه نحامي بالحسام المصقل
تفديه نفسي من أخ مبجل

يا رب فامنحني ثواب المنزل
لقد اعزت بهذا الرجز بأبيه الإمام أمير المؤمنين باب مدينة علم النبي ﷺ ووصيه
كما اعزت بأخيه الإمام الحسين ريحانة رسول الله ﷺ وانه إنما ينافع عنه لا بداع
الأخوة والرحم، وإنما يبغى بذلك وجه الله والدار الآخرة.

ولم يزل الفتى يقاتل أعنف القتال حتى شد عليه الباقي الأئم هانيء بن ثابت
الحضرمي فقتله.





مصرع جعفر

ويرز جعفر ابن أمير المؤمنين عليه السلام وأمه أم البنين وكان له من العمر تسع عشرة سنة، فجعل يقاتل قتال الأبطال فشد عليه هانىء بن ثابت فقتله.





مصرع عثمان

ويرز عثمان ابن أمير المؤمنين وامه أم البنين وهو ابن احدى وعشرين سنة فرمأه خولي بسهم فأضجه، وشد عليه رجل منبني دارم فقتله وأخذ رأسه ليتقرب به إلى سيده ابن مرجانة.



زينب عند مصر العباس

وليس في تاريخ الإنسانية قديماً ولا حديثاً أخوة أصدق ولا أنبل ولا أوفى من أخوة أبي الفضل لأخيه الإمام الحسين فقد حفلت بجميع القيم الإنسانية والمثل الكريمة.

وكان البارز من مثل تلك الأخوة النادرة الإيثار والمواساة والفداء فقد آثر أبو الفضل أخاه وفداء بروحه، وواساه في أقسى المحن والخطوب وقد أشاد الإمام زين العابدين عليه السلام بهذه المواساة النادرة من عمه يقول عليه السلام:

«رحم الله عمي العباس فلقد آثر وأبلى وفدى أخاه بنفسه حتى قطعت يداه، فأبدله الله تعالى بهما جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة كما جعل لجعفر بن أبي طالب.. وإن للعباس عند الله تعالى منزلة يغبطه بها جميع الشهداء يوم القيمة».

وقد أثارت هذه الأخوة الصادقة الإكبار والإعجاب عند جميع الناس، وصارت مضرب المثل في جميع الأحقيات والأباد، وقد اعزز بها حفيده الفضل بن محمد يقول:

أحق الناس أن يبكي عليه فتى أبكى الحسين بكربلاء
 أخوه وابن والده علي أبو الفضل المضرج بالدماء
 ومن واساه لا يثنى له شيء وجادله على عطش بماء
 ويقول الكمي:

وابو الفضل إن ذكرهم الحلو شفاء النفوس من أسلفها
 قتل الأدعية إذ قتلواه أكرم الشاربين صوب الغمام

لقد كان أبو الفضل يملك طاقات هائلة من التقوى والدين، وكانت أسرير النور بادية على وجهه الكريم حتى لُقب بقمر بنى هاشم، كما كان من الأبطال البارزين في الإسلام، وكان إذا ركب الفرس المطهم تخطان رجلاه في الأرض وقد ورث صفات أبيه من الشجاعة والنضال.

وأُسند إليه الإمام عليه السلام يوم الطف قيادة جيشه ودفع إليه رايته فرفعها عالية خفاقة، وقد قاتل أعنف القتال وأشده، ولما رأى وحدة أخيه وقتل أصحابه وأهل بيته الذين باعوا نفوسهم لله انبرى إليه يطلب منه الرخصة ليلاقي مصيره المشرق، فلم يسمح له الإمام وقال له بصوت خافت حزين البرات:

«أنت صاحب لوائي».

لقد كان الإمام يشعر بالقوة والمنعة ما دام أبو الفضل حياً، فهو كجيشه إلى جانبه يحميه ويذب عنه، وألح عليه أبو الفضل قائلاً:

«لقد ضاق صدري من هؤلاء المنافقين، وأريد أن آخذ ثاري منهم».

لقد ضاق صدره وسُنم من الحياة حينما رأى الكواكب المشرقة من أخواته وأبناء أخواته وعمومته صرعى مجرزرين على رمال كربلاء فتحرق شوقاً للالتحاق بهم والأخذ بثارهم، وطلب منه الإمام أن يسعى لتحصيل الماء إلى الأطفال الذين صرعنهم العطش فاندفع الشهم الشبيل نحو أولئك الممسوخين فجعل يعظهم ويحذرهم غضب الله ونقمته، وخطب ابن سعد قائلاً:

«يا بن سعد هذا الحسين ابن بنت رسول الله عليه السلام قد قتلت أصحابه وأهل بيته، وهو لاء عياله وأولاده عطاشى فاسقوهم من الماء، قد أحرق الظماً قلوبيهم، وهو مع ذلك يقول: دعوني أذهب إلى الروم أو الهند وأخلني لكم العجاز والعراق».

وزلزلت الأرض تحت أقدامهم وودوا أن تخسّ بهم، وبكي بعضهم وساد عليهم صمت رهيب فانبرى إليه الرجس الخبيث شمر بن ذي الجوش فرد عليه قائلاً:

«يابن أبي تراب لو كان وجه الأرض كله ماء وهو تحت أيدينا لما سقطناهم منه قطرة إلا أن تدخلوا في بيعة يزيد».

وقفل أبو الفضل راجعاً إلى أخيه فأخبره بعثو القوم وطغيانهم، وسمع الأبي

الشهم صرخ الأطفال وهم يستغيثون وينادون:

العطش العطش. الماء الماء.

فرآهم أبو الفضل العباس - ويا لهول ما رأى - قد ذبلت شفاههم وتغيرت
ألوانهم وأشرفوا على الهلاك من شدة الظما، فالناع كأشد ما يكون الالتياع، وسرى
الألم العاصف في محياه، واندفع ببسالة لإغاثتهم فركب جواده وأخذ معه القرية،
فاقتحم الفرات وقد استطاع بقوة بأسه أن يفك الحصار الذي فرض على الماء وقد
انهزم الجيش من بين يديه، فقد ذكرهم ببطولات أبيه فاتح خير ومحطم فلول الشرك،
وقد انتهى إلى الماء وكان قلبه الشريف قد تفتت من العطش، واغترف من الماء غرفة
ليشرب منه إلا أنه تذكر عطش أخيه ومن معه من النساء والأطفال فرمى الماء من يده
وامتنع أن يروي غليله وهو يقول:

يا نفس من بعد الحسين هوني وبعده لا كنت أن تكوني
هذا الحسين وارد المنون وتشريين بارد المعين
تا الله ما هذا فعال ديني

إن الإنسانية بكل إجلال وإكبار لتحبي هذه الروح العظيمة التي تألقت في دنيا
الفضيلة والإسلام، وهي تلقي على الأجيال أروع الدروس عن الكراهة الإنسانية
والمثل العليا.

لقد كان هذا الإيثار الذي تجاوز حدود الزمان والمكان من أبرز الذاتيات في
خلق أبي الفضل، فلم تتمكنه عواطفه المترعة بالولاء والحنان لأخيه أن يشرب من
الماء قبله، فأي إيثار أ nobel أو أصدق من هذا الإيثار لقد امتزجت نفسه بنفس أخيه،
وتفاوتت روحه مع روحه، فلم يعد هناك أي تعدد في الوجود بينهما واتجه فخر هاشم
مزهوا نحو المخيم بعدها ملأ القرية وهي عنده أغلى وأثمن من الحياة، والتجم مع
الأعداء التحاميا رهيباً فقد أحاطوا به ليمنعوه من إيصال الماء إلى عطاشى أهل البيت،
وأشاع فيهم البطل القتل فأخذ يحصد الرؤوس ويجندي الأبطال وهو يرتجز:

لا أرهب الموت إذا الموت زقا حتى أوارى في المصالحت لقى
 نفسي لسبط المصطفى الطهر وقا إني أنا العباس اغدو بالسقا
 ولا أخاف الشر يوم الملتقى

لقد أعلن لهم عن شجاعته النادرة وبطولاته العظيمة، فهو لا يرعب الموت، وإنما يستقبله بشغف باسم دفاعاً عن الحق، ودفاعاً عن أخيه رائد العدالة الاجتماعية في الأرض... وانه لفخور إذ يغدو بالسفاء مملوءاً من الماء ليروي به عطاشى أهل البيت.

وانهزمت جيوش الباطل بطاردها الرعب والفزع، فقد أبدى أبو الفضل من البطولات ما يفوق حد الوصف وقد أيقنوا أنهم عاجزون عن مقاومته، إلا أن الرضي الجبان زيد بن الرقاد الجهي قد كمن له من وراء نخلة، ولم يستقبله بوجهه، فضربه على يمينه فبراها.. لقد قطع تلك اليد التي كانت تفيض سماحةً وبرأ على الناس دفاعاً عن حقوق المظلومين والمضطهددين.

ولم يعن أبو الفضل بيمينه، وإنما راح يرتجز:

والله ان قطعتم بيميني إني أحامي أبداً عن ديني
 وعن إمام صادق يقيني نجل النبي الطاهر الأمين
 ودلل بهذا الرجز على الأهداف العظيمة التي يناضل من أجلها، فهو إنما يناضل دفاعاً عن الدين، ودفاعاً عن إمام المسلمين.

ولم يبعد العباس قليلاً حتى كمن له من وراء نخلة رجس من أرجاس البشرية وهو الحكيم بن الطفيلي الطائي فضربه على يساره فبراها، وتنص بعض المقاتل أنه حمل القربة بأسنانه وجعل يركض ليوصل الماء إلى عطاشى أهل البيت، غير حاصل بما كان يعانيه من نزف الدماء وألم الجروح وشدة الظماء.. لقد كان ذلك متنه ما وصلت إليه الإنسانية في جميع أدوارها من الوفاء والرحمة والحنان.

ويبنما هو يركض وهو بتلك الحالة إذ أصاب القرية سهم غادر فاريق ماؤها، ووقف البطل الشهم حزيناً، فقد كان إراقة الماء عنده أشد عليه من ضرب السيف وطعن الرماح، وشد عليه رجس فعله بعمود من حديد على رأسه الشريف ففلق هامته، وهوى إلى الأرض وهو يؤدي تحيته ووداعه الأخير إلى أخيه قائلاً:

«عليك مني السلام أبا عبد الله».

وتحمل الأثير كلماته إلى أخيه فخرقت قلبه ومزقت أحشاءه، وانطلق وهو خائز القوى منهـدـ الركـنـ فاقتـحـمـ بـجـواـدـهـ جـيـوشـ الـأـعـدـاءـ، وـوقـفـ عـلـىـ الجـثـمـانـ المـقـدـسـ وهو يـعـانـيـ آـلـاـمـ الـاحـتـضـارـ وأـلـقـىـ بـنـفـسـهـ عـلـيـهـ فـجـعـلـ يـشـمـهـ وـيـضـمـخـهـ بـدـمـوعـ عـيـنـيهـ وـهـوـ يـلـفـظـ شـظـاـيـاـ قـلـبـهـ الـذـيـ مـرـقـتـهـ الـكـوارـثـ قـائـلاـ:

«الآن انكسر ظهري، وقلت جيلتي».

وجعل الإمام يطيل النظر إلى جثمان أخيه وهو يذكر أخوته الصادقة ووفاءه النادر وشهادته الفدلة... وتبددت جميع آماله، وكان مما يهون عليه أحوال هذه الكارثة سرعة اللحاق به، وعدم بقائه بعده إلا لحظات، ولكنها كانت عنده كالستين فقد ودَّ أن المنية قد وافته قبله.

وقام الثاكل الحزين وقد انهارت قواه، وهو لا يتمكن أن يقل قدميه، وقد بان عليه الانكسار والحزن، واتجه صوب المخيم وهو يكفـفـ دمـوعـهـ، فاستقبلته سكينة قائلة:

«أين عم؟».

فأخبرها بشهادته وهو غارق بالبكاء والشجون، وذعرت حفيدة الرسول ﷺ زينب الكبرى رض واستولى عليها الفزع حينما سمعت بمقتل أخيها، ووضعت يدها على قلبها المذااب وهي تصيح:

«والأخاه، واعباساه، واضييعتنا بعدهك».

وشارك الإمام شقيقته في النياحة على أخيه البار، واندفع رافعاً عقيرته وهو الصبور:



«واضيغتنا بعدك يا أبا الفضل».

لقد شعر بالوحدة والضيقة بعد فقده لأخيه الذي لم يترك لوناً من ألوان البر
والمواساة إلا قدمها لأخيه.

سلام على سيرتك وذكرك يا أبا الفضل، فلقد مضيت إلى مصيرك العظيم
وأنت من أعظم الشهداء إشراقاً وتضحية.

وداعاً يا قمر بنى هاشم.

وداعاً يا بطل كربلاء.

سلام عليك يوم ولدت ويوم استشهدت ويوم تبعث حياً.





مصرع محمد الأصغر

قال السيد القرشي في كتابه: ومن استشهد من أخوة الحسين لأبيه محمد الأصغر وأمه أم ولد وقد قاتل قتالاً عنيفاً فشد عليه رجل من تميم فقتله.



مصرع أبو بكر

وهو أخو الإمام لأبيه، وأمه ليلى بنت مسعود لم يعرف اسمه ويقول الخوارزمي: إن اسمه عبد الله وقد بُرِزَ للحرب فقتله رجل من همدان، وقيل لا يُدرى من قتله ويذهب الطبرى إلى أنه مشكوك في قتله^(١).

وقال في البحار: ثُمَّ بُرِزَ أبو بكر بن الحسن وقتله عبدالله بن عقبة ثُمَّ تقدّمت أخوة الحسين فبُرِزَ منهم أبو بكر بن علي ثُمَّ عثمان بن علي.

وعن علي عليه السلام قال: إنما سُميَّته باسم أخي عثمان بن مظعون.

قيل لعلَّ أمير المؤمنين عليه السلام إنما سُميَّ أولاده بهذه الأسماء مع أنه لا يحبها توسيعاً على شيعته في ميدان التقى مثلاً لو كان رجل من الشيعة في بلاد المخالفين.

وقيل له: أتحبَّ أبا بكر وعمر وعثمان؟

يقول: نعم ويحلف على هذا فاقصدأ إلى أولاد أمير المؤمنين عليه السلام والله أعلم.



(١) حياة الإمام الحسين للقرشى: ١٨٤/٣.



مصرع العباس الأصغر

قال السيد القرشي : هو أخو الإمام لأبيه وأمه لبابة بنت عبيد الله بن العباس استشهد يوم الطف ويقول القاسم بن أبي صالح المجاشعي لما أتي بالرؤوس إلى الكوفة رأيت فارساً علق في ساق فرسه رأس غلام أمرد كأنه القمر ليلة البدر فإذا طأطأ الفرس رأسه لحق رأس الغلام بالأرض فسألت عن الفارس فقيل هو حرملاة بن كاهل وسألت عن الرأس فقيل هو رأس العباس بن علي وهذا مما يؤكد وجود العباس الأصغر لأن العباس الأكبر كان عمره يوم قتل اثنين وثلاثين سنة وليس غلاماً أمرداً.

إلى هنا ينتهي بنا الحديث عن شهداء أهل البيت عليهم السلام وقد انتهكت بقتلهم حرمة الرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه فلم يرع الجيش الأموي قرباتهم من رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه التي هي أولى بالرعاية والعطف من كل شيء ^(١).



(١) المصدر السابق.

زینب عند مصرع الإمام الحسين

قال السيد القرشي : وتابعت الرزايا والخطوب يتبع بعضها بعضاً على ريحانة رسول الله ﷺ، فهو لم يكدر ينتهي من كارثة فاصلة حتى تواكب عليه أشد الكوارث هولاً وأعظمها محنـة.

لقد عانى الإمام في تلك اللحظات الرهيبة من المحن الشاقة ما لم يعاني أي مصلح كان ، ومن بينها :

أولاً - إنه كان ينظر إلى مخدرات الرسالة وعقائل الوحي وهن بحالة من الذعر لا يعلمها إلا الله، ففي كل لحظة يستقبلن عزيزاً من نجوم العترة الطاهرة مضطجعاً بدمائه الزكية لا يلبث أن يلفظ نفسه الأخير أمامهن وما زاد في وجدهن أن الجفاة من الأعداء الذين محيت الرحمة من نفوسهم قد أحاطوا بهن ، ولا يعلمون ماذا سيجري عليهن من المحن بعد فقد الأهل والحماية، وكان الإمام ينظر إلى ما ألم بهن من الخوف فيذوب قلبه أسى وحسرات فكان يأمرهن بالتجدد والخلود إلى الصبر ، وأن لا يبدين من الجزع ما ينقص قدرهن ، واعلمهن أن الله يحفظهن وينجيهن من شر الأعداء.

ثانياً - إن الأطفال قد تعالى صراخهم من ألم الظما القاتل ، وهو لا يجد مجالاً لإغاثتهم ، وقد ذاب قلبه الكبير حناناً ورحمة على أطفاله وعياله الذين يعانون ما لا طاقة لهم به .

ثالثاً - تعدى السفكة المجرمين بعد قتل أصحابه وأهل بيته إلى قتل الأطفال الأبرياء من أبناء أخوته وعمومته.

رابعاً - مقاساته العطش الأليم ، فقد ورد عن شدة ظماء أنه كان لا يضر السماء

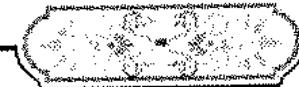


إلا كالدخان وان كبده الشريف قد تفتت من شدة العطش، يقول الشيخ التستري : «إن عطش الحسين قد أثر في أربعة أعضاء فالشفقة ذابلة من حر الظما ، والكبد مفتت لعدم الماء - كما قال ﷺ - وقد أخبر بذلك حينما يئس من الحياة، وقد علموا أنه لا يعيش بعد ذلك فقال لهم: اسقوني قطرة من الماء فقد تفتت كبدي ، واللسان مجروح من شدة اللوك - كما في الحديث - والعين مظلمة من العطش».

خامساً - فقده للأحبة، من أهل بيته وأصحابه، فكان ينظر إلى خيمهم فيراها خالية يجعل يصعد آهاته وأحزانه، ويندبهم بأقسى ندبة.

إن النفس لتذوب حسرات من هذه الخطوب التي ألمت بابن رسول الله ﷺ ، يقول صفي الدين : «وقد لاقى الحسين من المحن والبلايا ما لا يستطيع مسلم أن يسمعه إلا ويذوب فؤاده».





استغاثة الإمام

وألقى الإمام الممتحن نظرة مشفوعة بالأسى والحسرات على أهل بيته وأصحابه فرأهم مجزرين كالأضاحي على رمال كربلاء تصرهم الشمس، وسمع عياله وقد ارتفعت أصواتهن بالبكاء فأخذ يستغيث ويطلب الناصر والمعين ليحمami عن حرم رسول الله ﷺ قائلاً:

«هل من ذاب يذب عن حرم رسول الله ﷺ؟ هل من موحد يخاف الله فيينا؟ هل من مغيث يرجو الله في إغاثتنا؟».

ولم تنفذ هذه الاستغاثة إلى تلك القلوب التي ران عليها الباطل وغرقت في الآلام... ولما سمع زين العابدين استغاثة أبيه وثبت من فراشه، وجعل يتوكأ على عصا لشدة مرضه، فبصر به الحسين فصاح بأخته السيدة أم كلثوم! احبسيه لثلا تخلو الأرض من نسل آل محمد، ويا درت إليه فأرجعته إلى فراشه.





مصرع الرضيع

أي صبر كان صبر أبي عبد الله!! كيف استطاع أن يتحمل هذه الكوارث.. إنه صبر تعجز عنه الكائنات، وتميد من هوله الجبال، وكان من أفعع وأقسى ما نكب به رزيته بولده عبد الله الرضيع فقد كان كالبدر في بهائه، فأخذه وجعل يوسعه تقبلاً ويودعه الوداع الأخير، وقد رأه مغمى عليه، وقد غارت عيناه وذابت شفتيه من شدة الظماء فحمله إلى القوم ليستدر عواطفهم لعلهم يسقوه جرعة من الماء، وعرضه عليهم وهو يظلل له برداه من حرارة الشمس، وطلب منهم أن يسعفوه بقليل من الماء، فلم ترق قلوب أولئك الممسوخين، وانبرى الباغي اللثيم حرملاة بن كاهل فسد له سهماً، وجعل يضحك ضحكة الدناء وهو يقول مفتخرًا أمام الثام من أصحابه:

«خذ هذا فاسقه».

واخترق السهم - بالله - رقبة الطفل، ولما أحس بحرارة السهم أخرج يديه من القماط، وجعل يرفرف على صدر أبيه كالطير المذبوح، وانحنى الطفل رافعاً رأسه إلى السماء فمات على ذراع أبيه... إنه منظر تتصدع من هوله القلوب، وتلجم الألسن... ورفع الإمام يديه وكانتا مملوءتين من ذلك الدم الطاهر فرمى به نحو السماء فلم تسقط منه قطرة واحدة إلى الأرض - حسبما يقول الإمام الباقر عليه السلام -، وأخذ ينادي ربه قائلاً:

«هون ما نزل بي أنه بعين الله تعالى: اللَّهُمَّ لَا يَكُونُ أهونَ عَلَيْكَ مِنْ فَصِيلٍ، إلهي إن كنت حبست عنا النصر فاجعله لما هو خير منه، وانتقم لنا من الظالمين، واجعل ما حل بنا في العاجل ذخيرة في الآجل، اللَّهُمَّ، أنت الشاهد على قوم قتلوا أشبه الناس برسولك محمد صلوات الله عليه وآله وسليمه».



ونزل الإمام عن جواده وحفر لطفله بجفن سيفه حفرة ودفنه مرملأً بدمائه الزكية، وقيل إنه ألقاه مع القتلى من أهل بيته. لك الله يا أبا عبد الله على هذه الكوارث التي لم يمتحن بعضها أي نبي من أنبياء الله، ولم تجر على أي مصلح في الأرض.





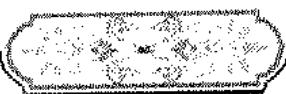
صمود الإمام

ووقف الإمام وحيداً في الميدان أمام أعدائه، وقد زادته الفجائع المذهلة إيماناً ويقيناً في بشر وطلاقة وثقة بما يصير إليه من منازل الفردوس الأعلى.

لقد وقف ثابت الجنان لم يوهن عزيمته مصارع أولاده وأهل بيته وأصحابه ولا ما كان يعانيه من ألم العطش وتنزيف الدماء، انه صمود الأنبياء وأولي العزم الذين ميزهم الله على بقية عباده، وقد روى ولده علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام الصور المذهلة عن صبر أبيه وصموده قال: كان كلما يشتد الأمر يشرق لونه، وتطمئن جوارحه، فقال بعضهم: انظروا كيف لا يبالي بالموت ويقول عبد الله بن عمار: رأيت الحسين حين اجتمعوا عليه يحمل على من على يمينه حتى اذغروا عنه فوالله ما رأيت مكثراً قد قُتل أولاده وأصحابه أربط جائساً منه، ولا أمضى جناناً منه، ووالله ما رأيت قبله ولا بعده مثله وكان يتمثل بقول ابن الخطاب الفهري:

مهلاً ببني عمّنا ظلامتنا	إن بنا سورة من القلق
لمثلكم تحمل السيف ولا	تغمز احسابنا من الرفق
إني لأنمى إذا انتميت	إلى عز عزيز ومعشر صدق
بيض سبط كأن أعينهم	تكحل يوم الهياج بالعلق
وتحمل على أعداء الله يجعل يقاتلهم أشد قتال رآه الناس، وقد حمل على	
	الميمنة وهو يرتجز:

والعار أولى من دخول النار	الموت أولى من ركوب العار
	وتحمل على الميسرة وهو يرتجز:



أنا الحسين بن علي آمنت أن لا أنتنبي
 أحلمي عيالات أبي أمضي على دين النبى
 أجل أنت الحسين وأنت ملء فم الدنيا شرفاً ومجدًا، وأنت الوحيد في هذه
 الدنيا لم تشن عن عزيمتك وإرادتك، فلم تضرع ولم تهن ومضيت في طريق الكفاح
 تدك حصون الظالمين والماردين.

لقد مضيت على دين جدك الرسول ﷺ فأنت الباعث المجدد لهذا الدين
 ولو لاك لكان شبحاً مبهماً لا ظل له على واقع الحياة... وروى ابن حجر أن الإمام
 كان يقاتل وينشد هذه الأبيات:

أنا ابن علي الحر من آل هاشم	كفاني بهذا مفخراً حين أخر
وجدي رسول الله أكرم من مشى	ونحن سراج الله في الناس يزهر
وفاطمة أمي سلالة أحمد	وعمي يدعى ذو الجناحين جعفر
وفينا كتاب الله أنزل صادقاً	وفينا الهدى والوحي والخير يذكر



زينب عند الهجوم على الخيم

قال: وتوسط أبي الضيّم معسّك الأعداء وجعل يقاتّلهم أشد القتال وأعنفه وقد هجموا على خيمه ليسلبوا الحرّيم والأطفال فصاحت بهم:

«يا شيعة آل أبي سفيان، إن لم يكن لكم دين، وكنتم لا تخافون المعاد، فكونوا أحراراً في دنياكم وارجعوا إلى احسابكم إن كنتم عرباً كما تزعمون...».

لقد جردهم الإمام بهذه الكلمات من الإطار الإسلامي، وأضافهم إلى آل أبي سفيان العدو الأول للإسلام وتزعم من بعده أبناءه القوي الباغية عليه، وما كارثة كربلاء إلا امتداد لأحقادهم وأضغانهم على النبي الإسلام... وقد دعاهم ﷺ إلى الاحتفاظ بالتقاليد العربية التي كانت سائدة في أيام الجاهلية من عدم التعرض للنساء والأطفال بأي أذى أو مكره.

وانبرى الوغد الخبيث شمر بن ذي الجوشن فقال للإمام:

«ما تقول يا بن فاطمة؟».

وبحسب الرجس أنه قد انتقص الإمام بنسبةه إلى أمه سيدة النساء، ولم يعلم أنه نسبة إلى معدن الطهر والنبوة، وحسب الحسين فخراً ومجدًا أن تكون أمه سيدة نساء العالمين حسبما يقول الرسول ﷺ.

قال له الإمام:

«أنا الذي أقاتلكم، والنساء ليس عليهن جناح فامنعوا عناتكم من التعرض لحرمي ما دمت حيًّا».

فأجابه الشمر إلى ذلك، وأحاط به القتلة المجرمون وهم يوسعونه ضرباً
بالسيوف وطعنوا بالرماح، فجعلت جراحاته تنفجر دماً.



الخطاب الأخير

ووجه الإمام عليه السلام وهو بتلك الحالة خطاباً لأعدائه حذرهم فيه من غرور الدنيا وفتنتها، ويقول المؤرخون: إنه لم يلبث بعده إلا قليلاً حتى استشهد، وهذا نصه:

«عباد الله، اتقوا الله، وكونوا من الدنيا على حذر فإن الدنيا لوبقيت للأحد، وبقي عليها أحد وكانت الأنبياء أحق بالبقاء، وأولى بالرضا، وأرضى بالقضاء، غير أن الله تعالى خلق الدنيا للبلاء، وخلق أهلها للفناء فجحيدوها بالـ، ونعيدها مضمحل، وسرورها مكفرها، والمنزل بلغة، والدار قلعة فتزودوا فإن خير الزاد التقوى، واتقروا الله، لعلكم تذلّلون».



الإمام يطلب ثواباً خلقاً

وطلب الإمام من أهل بيته أن يأتوه بشوب خلق لا يرغب فيه أحد ل يجعله تحت ثيابه لثلا يسلب منه، فأتواه بتبان فلم يرحب فيه وقال ذلك لباس من ضربت عليه الذلة، وأخذ ثوباً فخرقه، وجعله تحت ثيابه فلما قتل جردوه منه . . .^(١).

وروي أنه قال ﷺ لأهله: ابعثوا إلى ثوباً خلقاً أجعله تحت ثيابي لثلا أجرد فأخذ ثوباً خلقاً فخرقه وجعله تحت ثيابه، ثم استدعى بسراويل من حبره ففزرها ولبسها، فلما قتل سلبها بحر بن كعب فكانت يدا بحر بعد ذلك يابسان في الصيف وينضحان الماء في الشتاء إلى أن مات.

ولمّا أثخن بالجراح طعنه صالح بن وهب المزني على خاصرته فسقط عن فرسه إلى الأرض على خده الأيمن.

وخرجت زينب من الفسطاط تناادي: وا أخاه وا سيدها لبيت السماء أطبقت على الأرض وليت الجبال تدكك على السهل وصاح شمر: ما تنتظرون بالرجل فحملوا عليه من كل جانب فضربه رجل ضربة بالسيف كبا منها لوجهه وطعنه سنان في ترقوته ورماه أيضاً بسهم وقع في نحره فنزع ^{الله} السهم من نحره وقرن كفيه جميعاً وكلما امتلأتا من دماءه خصب بهما رأسه ولحيته يقول: هكذا ألقى الله مخضباً بدمي.

فقال ابن سعد لرجل: إنزل إلى الحسين وأرحه فبدر إليه خولي الأصبعي ليحتز رأسه فأرعد ونزل إليه سنان النخعي فضربه بالسيف على حلقة الشريف وهو يقول: والله إني لأحتز رأسك وأعلم أنت ابن رسول الله وخير الناس أباً وأمّا ثم احتز رأسه المقدس.

(١) حياة الإمام الحسين للقرشي: ١٩٢/٣

وروي أنَّ سناناً هذا أخذه المختار فقطع أنامله أنملاً ثم قطع يديه ورجليه وأغلى له قدرًا فيها زيت ورماد فيها وهو يضطرب وقيل الذي قطع رأس الحسين هو الشمر لعنه الله وقيل بل جاء إليه شمر وسنان والحسين عليه السلام بأخر رقم يلوك لسانه من العطش ويطلب الماء فرفسه شمر برجله وقال: يا بن أبي تراب ألسنت تزعم أنَّ أباك على حوض النبي يسقي من أحبه فاصبر حتى تأخذ الماء من يده فاحتَرَ رأسه.

وروي أنَّ فرس الحسين عليه السلام كان يحمي عنه ويثبت على الفارس فيحبشه عن سرجه ويدوشه حتى قتل أربعين رجلاً ثم نزع في دم الحسين وقصد نحو الخيمة وله صهيل عال ويضرب بيديه الأرض^(١).

وفي حين قتله ارتفعت في السماء غبرة شديدة وسود مظلمة فيها ريح حمراء لا يرى فيها عين ولا أثر حتى ظنَّ القوم أنَّ العذاب قد جاءهم فلبثوا ساعة ثم انجلت عنهم.

وعن هلال بن نافع قال: إنِّي لواقف مع أصحاب ابن سعد إذ صرخ صارخ أبشر أيها الأمير فهذا شمر قد قتل الحسين فخرجت بين الصفين فوقفت عليه وأنَّ ليجود بنفسه فوالله ما رأيت قتيلاً مضمخاً بدمه أحسن منه ولا أنور وجهاً ولقد شغلني نور وجهه عن الفكرة في قتله فاستسقى في تلك الحال ماء فقال له رجل: لا تذوق الماء حتى ترد الحامية.

قال الحسين عليه السلام: بل أرد على جدي وأسكن معه في داره وأشرب من ماء غير آسن وأشكو إليه ما ارتكتتم مثني.
فاحتَرُوا رأسه وهو يكلّمهم فتعجبت من قلة رحمتهم.
فقلت: والله لا أجمعكم على أمر أبداً^(٢).



(١) مناقب آل أبي طالب: ٣ / ٢١٥، والبحار: ٤٥ / ٥٧.

(٢) مدينة المعاجز: ٤ / ٧٧، والبحار: ٥٧٤٥ / .

توديع الإمام الحسين لأهل بيته

ثم نظر الحسين إلى اثنين وسبعين رجلاً من أهل بيته صرعي فنادي ياسكينة يا فاطمة يا زينب يا أم كلثوم عليكنّ مني السلام فنادته سكينة يا أبه استسلمت للموت، قال: كيف لا يستسلم من لا ناصر له ولا معين فقالت: يا أبه ردنا إلى حرم جدنا فقال: هيئات لو ترك القطا لنام، فتصارخن النساء ثم ركب الحسين عليه السلام فرسه ويرز إلى القوم وهو يقول، شعراً:

خيرة الله من الخلق أبي
فضة قد خلصت من ذهب
من له جذ كجذ في الورى
فاطم الزهراء أمي وأبي
عبد الله غلاماً يافعاً
فأبي شمس وأمي قمر
ثم وقف قبالة القوم ولم يزل يقتل كلَّ من دنا منه حتى قتل مقتلة عظيمة قال بعضهم: والله ما رأيت مكتوراً قط قد قتل ولده وأهل بيته أربط جاشاً منه وإنَّه كان يشد على الرجال فتنكشف عنه انكشف المعزى إذا شد فيها الذئب، ولقد كان فيهم وقد تكملوا ثلاثين ألفاً فينهزون بين يديه كأنهم الجراد المنتشر ولم يزل يقاتل حتى قتل ألف رجل وتسعمائة رجل وخمسين رجلاً سوى المجرورين.

قال ابن سعد: الويل لكم أتدرون من تقاتلون؟ هذا ابن الأنزع البطين هذا ابن قتال العرب فاحملوا عليه من كل جانب وكان الرماة أربعة آلاف فرموه بالسهام وحالوا بينه وبين رحله فكشفهم ثم أخذه العطش فأقحم فرسه الفرات فقال للفرس:

أنا عطشان وأنت عطشان والله لا ذقت الماء حتى تشرب، فلما سمع الفرس كلام الحسين رفع رأسه ولم يشرب كأنه فهم الكلام.

فقال الحسين ﷺ: اشرب فأنا أشرب فمَّا أشرب يده فغرف من الماء.

فقال فارس: يا أبا عبدالله تتلذذ بشرب الماء وقد هنكت خيمة حرمك فنفض الماء من يده وحمل على القوم فكشفهم فإذا الخيمة سالمة ثم رماه رجل من القوم يُقال له أبا الحتوف بسهم وقع في جبهته فنزعه فسال الدم على وجهه ولحيته فقال ﷺ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ ترَى مَا أَنَا فِيهِ مِنْ هُوَلَاءِ الْعَصَمَةِ، اللَّهُمَّ لَا تَذَرْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مِنْهُمْ أَحَدًا وَلَا تَغْفِرْ لَهُمْ أَبْدًا ثُمَّ حَمَلَ عَلَيْهِمْ كَالَّذِي ثَمَّ حَمَلُوا مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ وَهُوَ يَتَقَبَّلُهَا بِنَحْرِهِ وَصَدْرِهِ وَهُوَ يَقُولُ: يَا أَمَّةَ السَّوَءِ أَمَا أَنْكُمْ لَنْ تَقْتُلُوْا بَعْدِي عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ فَتَهَا بِوَا قُتْلَهُ بَلْ يَهُونُ عَلَيْكُمْ عِنْدَ قَتْلِكُمْ إِيمَانِي وَإِيمَانَ اللَّهِ إِنِّي لاإِرْجَوْ أَنْ يَكْرَمِنِي رَبِّي بِالشَّهَادَةِ ثُمَّ يَتَقَبَّلُهُ مِنْكُمْ مِنْ حِيثِ لَا تَشْعُرُونَ وَلَمْ يَزُلْ يَقْاتِلْ حَتَّى أَصَابَتْهُ اثْتَانٌ وَسَبْعُونَ جَرَاحَةً مَا بَيْنَ طَعْنَةٍ وَضَرْبَةٍ.

وقال الباقر ﷺ: أُصِيبَ الحسين وَوُجُدَ بِهِ ثَلَاثَمَائَةٍ وَبِضَعَةٍ وَعِشْرُونَ طَعْنَةً بِرَمَحٍ وَضَرْبَةٍ بِسَيْفٍ أَوْ رَمِيَّةٍ بِسَهْمٍ وَكَانَ درعَهُ كَالْقَنْدَلِ^(١).

وروي أنها كانت كلها في مقدمه فوق يستريح ساعه وقد ضعف عن القتال فأتاها سهم محدد مسموم له ثلاث شعب فوقع في صدره فقال: بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله ورفع رأسه إلى السماء وقال: إلهي إنك تعلم إنهم يقتلون رجالاً ليس على وجه الأرض ابن نبئي غيره فاخراج السهم من قناته وانبعث الدم كالميزاب فوضع يده على الجرح، فلما امتلأت رمي به إلى السماء فما رجع من ذلك الدم قطرة وما عرفت الحمرة في السماء حتى رمى الحسين بدمه إلى السماء ثم وضع يده ثانية، فلما امتلأت لطخ بها رأسه ولحيته وقال: هكذا ألقى جدي بدمي.

ثم ضعف عن القتال فكلما جاءه رجل وانتهى إليه انصرف عنه حتى جاءه رجل

(١) أمالى الصدقى: ٢٨٢ ح ٢٤٠

من كندة يُقال له مالك بن النسر لعنه الله فضربه بالسيف على رأسه وعليه برسن فامتلا دمًا فطّرّه واعتم على القلنسوة وكان البرنس من خز فأخذ رجاء الكندي ودخل بعد الواقعة على امرأته فجعل يغسل الدم عنه فقالت له امرأته: تدخل بيتي بسلب ابن رسول الله أخرج عني حشى الله قبرك ناراً ويبيت يداه حتى صارت كالعودين^(١).

ثم حمل شمر على فسطاط الحسين فطعنه بالرمّح ثم قال: عليّ بالنار أحرقه على من فيه.

فقال له الحسين ﷺ: أحرقك الله بالنار^(٢).

هيّهات لو ترك القطا لنام، فتصارخن النساء ثم ركب الحسين ﷺ فرسه وبرز إلى القوم وهو يقول، شعراً:

ثُمَّ أَمِي فَأَنَا ابْنُ الْخَيْرَيْنِ	خِيرَةُ اللَّهِ مِنَ الْخَلْقِ أَبِي
فَأَنَا الْفَضْلَةُ وَابْنُ الْذَّهَبَيْنِ	فَضْلَةٌ قَدْ خَلَصْتُ مِنْ ذَهَبٍ
أَوْ كَشِيفُ الْحَسَنِيِّ فَأَنَا ابْنُ الْعَلَمَيْنِ	مِنْ لَه جَدَّ كَجَدَّيِّ فِي الْوَرَى
قَاصِمُ الْكُفْرِ بِبَدْرٍ وَحُنَينٍ	فَاطِمَ الْزَّهْرَاءُ أُمِيْ وَأَبِي
وَقَرِيشٌ يَعْبُدُونَ الْوَثَنَيْنِ	عَبْدَ اللَّهِ غَلَامًا يَا فَاعِمًا
فَأَنَا الْكَوْكَبُ وَابْنُ الْقَمَرَيْنِ	فَابِي شَمْسٌ وَأَمِيْ فَمَرْ

ثُمَّ وقف قبالة القوم ولم يزل يقتل كلّ من دنا منه حتى قتل مقتلة عظيمة قال بعضهم: والله ما رأيت مكثوراً قط قد قتل ولده وأهل بيته أربط جاشاً منه وإنّه كان يشدّ على الرجال فتكتشف عنه انكشف المعزى إذا شدّ فيها الذئب، ولقد كان فيهم وقد تكملوا ثلاثة ألفاً فينهزمون بين يديه لأنّهم الجراد المنتشر ولم يزل يقاتل حتى قتل ألفاً وتسعمائة رجل وخمسين رجلاً سوى المجرّحين.

فقال ابن سعد: الويل لكم أتدرون من تقاتلون؟ هذا ابن الأنزع البطين هذا ابن

(١) بحار الانوار للعلامة المجلسي: ٤٥ / ٥٣.

(٢) بحار الانوار للعلامة المجلسي: ٤٥ / ٥٤.

قتال العرب فاحملوا عليه من كل جانب وكان الرّماة أربعة آلاف فرميوا بالسهام وحالوا بينه وبين رحله فكشفهم ثم أخذه العطش فأقحم فرسه الفرات فقال للفرس: أنا عطشان وأنت عطشان والله لا ذقت الماء حتى تشرب، فلما سمع الفرس كلام الحسين رفع رأسه ولم يشرب كأنه فهم الكلام.

قال الحسين عليه السلام: أشرب فأنا أشرب فمذ الحسين عليه السلام يده فغرف من الماء. فقال فارس: يا أبا عبدالله تتلذذ بشرب الماء وقد هتك خيمة حرمك فتفض الماء من يده وحمل على القوم فكشفهم فإذا الخيمة سالمه ثم رماه رجل من القوم يُقال له أبا الحتوف بسهم وقع في جبهته فنزعه فسال الدم على وجهه ولحيته فقال: اللهم إِنَّكَ ترَى مَا أَنَا فِيهِ مِنْ هُوَلَاءِ الْعَصَابَةِ، اللَّهُمَّ لَا تَذَرْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مِنْهُمْ أَحَدًا وَلَا تَغْفِرْ لَهُمْ أَبَدًا ثُمَّ حَمَلَ عَلَيْهِمْ كَالَّتِيْثَ الْمَغْضَبَ وَالسَّهَامَ تَأْخُذُهُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ وَهُوَ يَتَقَيَّهَا بِنَحْرِهِ وَصَدْرِهِ وَهُوَ يَقُولُ: يَا أُمَّةَ السُّوءِ أَمَّا أَنْتُمْ لَنْ تَقْتُلُوْا بَعْدِي عَبْدًا مِنْ عَبَادِ اللَّهِ فَتَهَابُوا قَتْلَهُ بَلْ يَهُونُ عَلَيْكُمْ عِنْدَ قَتْلِكُمْ إِيَّاهُي وَإِيمَانُ اللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكْرِمَنِي رَبِّي بِالشَّهَادَةِ ثُمَّ يَنْتَقِمُ لِي مِنْكُمْ مِنْ حِيثُ لَا تَشْعُرُونَ وَلَمْ يَزُلْ يَقَاوِلُ حَتَّى أَصَابَتْهُ اثْتَانٌ وَسَبْعُونَ جَرَاحَةً مَا بَيْنَ طَعْنَةٍ وَضَرْبَةٍ.

وقال الباقر عليه السلام: أُصِيبَ الحسين وَوُجِدَ بِهِ ثَلَاثَمَائَةٍ وَيَضْعُفُهُ وَعِشْرُونَ طَعْنَةً بِرَمَحٍ وَضَرْبَةً بِسَيفٍ أَوْ رَمِيَّةً بِسَهْمٍ وَكَانَ درعَهُ كَالْقَنْدَلِ^(١).

وروي أنها كانت كلها في مقدمه فوق يستريح ساعه وقد ضعف عن القتال فأئمه سهم محدد مسموم له ثلاث شعب فوق في صدره فقال: بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله ورفع رأسه إلى السماء وقال: إلهي إنك تعلم إنهم يقتلون رجالاً ليس على وجه الأرض ابن نبي غيره فأخذ السهم من قفاه وانبعث الدم كالميزاب فوضع يده على الجرح، فلما امتلأت رمي به إلى السماء فما رجع من ذلك الدم قطرة وما عرفت الحمرة في السماء حتى رمى الحسين بدمه إلى السماء ثم وضع يده ثانية، فلما امتلأت لطخ بها رأسه ولحيته وقال: هكذا ألقى جدي بدمي.

(١) أمالي الصدوق: ٢٨٢ ح ٢٤٠.

ثم ضعف عن القتال فكلما جاءه رجل وانتهى إليه انصرف عنه حتى جاءه رجل من كندة يُقال له مالك بن النسر لعنه الله فضربه بالسيف على رأسه وعليه برسن فامتلأ دمًا فطرحه واعتم على القنسوة وكان البرنس من خز فأخذه رجاء الكندي ودخل بعد الواقعة على امرأته فجعل يغسل الدم عنه فقالت له امرأته: تدخل بيتي بسلب ابن رسول الله اخرج عن حشى الله قبرك ناراً وبيست يداه حتى صارت كالعودين^(١).

ثم حمل شمر على فساطط الحسين فطعنه بالرمح ثم قال: عليّ بالنار أحرقه على من فيه.

فقال له الحسين ﷺ: أحرقك الله بالنار^(٢).

وقال السيد محمد باقر الفرشي: وقتل الإمام راجعاً إلى عياله ليودعهم الوداع الأخير، وجراحاته تتفجر دماً وقد أوصى حرم الرسالة وعقالل الوحي بلبس الازر والاستعداد للبلاء، وأمرهن بالخلود إلى الصبر والتسليم لقضاء الله قائلاً:

«استعدوا للبلاء، واعلموا أن الله تعالى حاميكم وحافظكم، وسينجيكم من شر الأعداء، ويجعل عاقبة أمركم إلى خير، ويعذب عدوكم بأنواع العذاب، ويعوضكم عن هذه البلية بأنواع النعم والكرامة فلا تشکوا ولا تقولوا بالستكم ما ينقص قدركم».

تزول الدول، وتذهب الممالك، وتختفي الحضارات، وهذا الإيمان الذي لا حد له أحق بالبقاء وأجدر بالخلود من كل كائن في هذه الحياة، أي نفس تطيق مثل هذه الكوارث، وتستقبلها برباطة جأش ورضا وتسليم لأمر الله، انه ليس هناك غير الحسين أمل الرسول الأعظم ﷺ وريحاته والصورة الكاملة التي تحكيه.

وذابت أسى أرواح بنات الرسول ﷺ حينما رأين الإمام بتلك الحالة يتعلق به يودعنه، وقد وجلت منهن القلوب، واختطف الرعب ألوانهن، والناع الإمام حينما نظر إليهن وقد سرت الرعدة بأوصالهن، يقول الإمام كاشف الغطاء:

(١) بحار الانوار للعلامة المجلسي: ٤٥ / ٥٣.

(٢) بحار الانوار للعلامة المجلسي: ٤٥ / ٥٤.

«من ذا الذي يقتدر أن يصور لك الحسين ﷺ وقد تلاطمـت أمواج البلاء حوله، وصبت عليه المصائب من كل جانب، وفي تلك الحال عزم على توديع العيال ومن بقي من الأطفال فاقترب من السرادق المضروب على حرائر النبوة وبنات علي والزهراء ؓ فخرّجـت المخدرات كسرـب القطا المذعورة فأحاطـنـ به وهو سابع بدمائه، فهل تستطيعـ أن تتصور حالهنـ وحالـ الحسينـ في ذلكـ الموقفـ الرهيبـ ولا يتغطـرـ قلبـكـ، ولا يطـيشـ لـبكـ، ولا تجـريـ دـمعـتكـ».

لقد كانت محنـة الإمامـ في توديعـه لـعيالـهـ من أقسىـ وأشـقـ ما عـانـاهـ منـ المـحنـ والـخطـوبـ، فقدـ لـطـمـنـ بـنـاتـ رـسـولـ اللهـ ؓـ وجـوهـهنـ، وارـتفـعـتـ أـصـواتـهنـ بالـبكـاءـ والـعـويـلـ، وهـنـ يـندـبـنـ جـدـهنـ الرـسـولـ ؓـ وأـلـقـيـنـ بـأـنـفـسـهـنـ عـلـيـهـ لـوـدـاعـهـ، وقدـ أـثـرـ ذـلـكـ المنـظـرـ المـرـيعـ فـيـ نـفـسـ الإـمامـ بـمـاـ لـيـعـلـمـ بـمـدـاهـ إـلـاـ اللهـ.

ونـادـىـ الرـجـزـ الـخـيـثـ عمرـ بنـ سـعـدـ بـقـوـاتـهـ الـمـسـلـحةـ يـحرـضـهـ عـلـىـ الـهـجـومـ عـلـىـ الإمامـ قـائـلاـ:

«اهـجمـواـ عـلـيـهـ مـاـ دـامـ مـشـغـلـاـ بـنـفـسـهـ وـحـرـمـهـ، فـوـالـلـهـ إـنـ فـرـغـ لـكـمـ لـاـ تـمـتـازـ مـيـمـتـكـمـ عـنـ مـيـسـرـتـكـمـ».

وـحملـ عـلـيـهـ الـأـخـبـاثـ فـجـعـلـوـاـ يـرـمـونـهـ بـالـسـهـامـ، وـتـخـالـفـتـ السـهـامـ بـيـنـ أـطـنـابـ الـمـخـيمـ، وـأـصـابـ بـعـضـهـ أـزـرـ بـعـضـ النـسـاءـ فـذـعـرـنـ وـدـخـلـنـ الـخـيـمةـ وـخـرـجـ بـقـيـةـ اللـهـ فـيـ الـأـرـضـ كـالـلـيـثـ الـغـضـبـانـ عـلـىـ أـولـئـكـ الـمـمـسـوخـينـ فـجـعـلـ يـحـصـدـ رـؤـوسـهـ الـخـيـثـةـ بـسـيفـهـ، وـكـانـتـ السـهـامـ تـأـخـذـهـ يـمـيـناـ وـشـمـالـاـ، وـهـوـ يـتـقـيـهـ بـصـدـرـهـ وـنـحـرـهـ، وـمـنـ بـيـنـ تـلـكـ السـهـامـ قـتـلـتـ بـهـ.

١ - سـهـمـ أـصـابـ فـمـهـ الطـاهـرـ، فـتـفـجـرـ دـمـهـ الشـرـيفـ فـوـضـعـ يـدـهـ تـحـتـ الـجـرـحـ فـلـمـاـ اـمـتـلـأـتـ دـمـاـ رـفـعـهـ إـلـىـ السـمـاءـ وـجـعـلـ يـخـاطـبـ اللـهـ تـعـالـىـ قـائـلاـ:

«الـلـهـمـ إـنـ هـذـاـ فـيـكـ قـلـيلـ».

٢ - سـهـمـ أـصـابـ جـبـهـهـ الشـرـيفـةـ الـمـشـرـقـةـ بـنـورـ النـبـوـةـ وـالـإـمـامـةـ رـمـاـهـ بـهـ أـبـوـ الـحـتـوفـ

الجعفي فانتزعه، وقد تفجر دمه الشريف، فرفع يديه بالدعاء على السفكة المجرمين قائلاً:

«اللَّهُمَّ إِنْكَ ترَى مَا أَنَا فِيهِ مِنْ عبادِكَ الْعَصَاةِ، اللَّهُمَّ احْصِهِمْ عدَّاً وَاقْتُلْهُمْ بَدَّاً، وَلَا تُذْرِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مِنْهُمْ أَحَدًا، وَلَا تغْفِرْ لَهُمْ أَبَدًا».

وصاح الجيش: «يا أمة السوء بسما خلفتم محمداً في عترته، أما انكم لا تقتلون رجالاً بعدي فتهابون قتلـه بل يهون عليـکم ذلك عند قتلـکم إیـایـی، وایـم الله اانـی لأرجـو أن يـکرمـنـی الله بالـشهـادـة، ثم يـنتـقمـ لـی منـکـمـ منـ حـیـثـ لاـ تـشـعـرونـ..».

لقد كان جـزـاءـ الرـسـولـ ﷺـ الـذـيـ أـنـقـذـهـمـ مـنـ حـیـاتـ الـبـؤـسـ وـالـشـقاءـ أـنـ عـدـواـ عـلـىـ ذـرـيـتـهـ فـسـفـكـواـ دـمـاءـهـمـ، وـاقـتـرـفـواـ مـنـهـمـ مـاـ تـقـشـعـرـ مـنـهـ الـجـلـودـ وـتـنـدـىـ لـهـ الـوـجوـهـ.. وـقـدـ استـجـابـ اللهـ دـعـاءـ الإـمـامـ فـانـتـقـمـ لـهـ مـنـ أـعـدـائـهـ الـمـجـرـمـينـ، فـلـمـ يـلـبـسـواـ قـلـيـلاـ حـتـىـ اـجـتـاحـهـمـ الـفـتـنـ وـالـعـواـصـفـ، فـقـدـ هـبـ الثـاثـرـ الـعـظـيمـ الـمـخـتـارـ طـالـبـاـ بـدـمـ الإـمـامـ فـأـخـذـ يـطـارـدـهـمـ وـيـلـاحـقـهـمـ، وـقـدـ هـرـبـواـ فـيـ الـبـيـدـاءـ وـشـرـطـةـ الـمـخـتـارـ تـطـارـدـهـمـ حـتـىـ أـبـادـ الـكـثـيرـينـ مـنـهـمـ، يـقـولـ الزـهـريـ لـمـ يـبـقـ مـنـ قـتـلـةـ الـحـسـينـ أـحـدـ إـلـاـ عـوـقـبـ أـمـاـ بـالـقـتـلـ أـوـ العـمـىـ أـوـ سـوـادـ الـوـجـهـ، أـوـ زـوـالـ الـمـلـكـ فـيـ مـدـةـ يـسـيـرةـ.

٣ - وهو من أعظم السهام التي فتكـتـ بالإـمـامـ. يـقـولـ المؤـرـخـونـ: إنـ الإـمـامـ وـقـفـ ليـسـتـريحـ بـعـدـماـ أـعـيـاهـ نـزـيفـ الدـمـاءـ، فـرـمـاـهـ وـغـدـ بـحـجـرـ أـصـابـ جـبـيـتـهـ الشـرـيفـةـ فـسـالتـ الدـمـاءـ عـلـىـ وجـهـهـ فـأـخـذـ الشـرـبـ لـيـسـعـ الدـمـ عـنـ عـيـنـيـهـ، فـرـمـاـهـ رـجـسـ بـسـهـمـ مـحـدـدـ لـهـ ثـلـاثـ شـعـبـ فـوـقـ عـلـىـ قـلـبـهـ الشـرـيفـ الـذـيـ يـحـلـمـ الـعـطـفـ وـالـحـنـانـ لـجـمـيعـ النـاسـ، فـعـنـدـ ذـلـكـ أـيـقـنـ بـدـنـوـ الـأـجـلـ الـمـحـتـومـ مـنـهـ فـشـخـصـ يـبـصـرـهـ نـحـوـ السـمـاءـ وـهـوـ يـقـولـ:

«بـسـمـ اللهـ وـبـاـلـهـ وـعـلـىـ مـلـةـ رـسـولـ اللهـ ﷺـ.. إـلـهـيـ إـنـكـ تـعـلـمـ أـنـهـمـ يـقـتـلـونـ رـجـلاـ

لـيـسـ عـلـىـ وـجـهـ الـأـرـضـ اـبـنـ بـنـتـ نـبـيـ غـيـرـيـ».

وـأـخـرـجـ السـهـمـ مـنـ قـفـاهـ فـأـبـعـثـ الدـمـ كـالـمـيـزـابـ فـأـخـذـ يـتـلـقـاهـ بـيـدـيـهـ فـلـمـ اـمـتـلـاـتـاـ رـمـىـ بـهـ نـحـوـ السـمـاءـ وـهـوـ يـقـولـ:

«هون ما نزل بي أنه بعين الله».

وأخذ الإمام من دمه الشريف فلطخ به وجهه ولحيته، وهو بتلك الهيبة التي تحكي هيبة الأنبياء واندفع يقول:

«هكذا أكون حتى ألقى الله وجدي رسول الله ﷺ وأنا مخضب بدمي . . .».

٤ - رماه الحسين بن نمير بسهم أصاب فمه الشريف فتفجر دماً فجعل يتلقى الدم بيده ويرمي به نحو السماء وهو يدعو على الجنابة المجرمين قائلاً:

«اللَّهُمَّ احصِّهِمْ عدَّاً، واقتْلُهُمْ بددًا، وَلَا تذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنْهُمْ أَحَدًا».

وتکاثرت عليه السهام حتى صار جسده الشريف قطعة منها . . وقد أجهده نزيف الدماء وأعياه العطش، فجلس على الأرض، وهو ينوء برقبته من شدة الآلام فحمل عليه وهو بتلك الحالة الرجس الخبيث مالك بن النسر فشتمه وعلاه بالسيف، وكان عليه برنس فامتلاً دماً، فرمقه الإمام بطرفه، ودعا عليه قائلاً:

«لا أكلت بيمينك ولا شربت وحشرك الله مع الظالمين».

وألقى البرنس واعتم على القلنسوة فأسرع الباغي إلى البرنس فأخذه وقد شلت

يداه^(١).



مناجاة الإمام لله تعالى

واتجه الإمام عليه السلام في تلك اللحظات الأخيرة إلى الله فأخذ يناجيه ويتوسل إليه بقلب مُنِيب ويشكو إليه ما ألم به من الكوارث والخطوب قائلاً:

«صبراً على قضائك لا إله سواك، يا غياث المستغيثين، عالي رب سواك ولا معبد غيرك. صبراً على حكمك، يا غياث من لا غياث له، يا دائمًا لا نفاد له يا محيي الموتى، يا قائمًا على كل نفس احکم بيني وبينهم وأنت خير الحاكمين».

إنه الإيمان الذي تفاعل مع جميع ذاتياته فكان من أهم عناصره.. لقد تعلق بالله وصبر على قضائه وفوض إليه جميع ما نزل به وعانته من الكوارث والخطوب، وقد أنساه هذا الإيمان العميق جميع ما حل به، يقول الدكتور الشيخ أحمد الوائل في رأيته:

من أديم الطفوف روض خيل	يا أبا الطف واذهلي بالضحايا
ورضي مع مطوق وشبول	نخبة من صحابة وشقيق
طلعة حلوة ووجه جميل	والشباب الفينان جف ففاضت
وزواكي الدماء منها تسيل	وتوجلت تستبين الضحايا
نم عنها التحميد والتهليل	ومشت في شفاهك الغر نجوى
فهذا إلى رضاك قليل	لك عنبي يا رب إن كان يرضيك



الهجوم على الإمام وخروج زينب العقيلة

وهجمت على ريحانة رسول الله ﷺ تلك العصابة المجرمة التي تحمل رجس الأرض وخبث اللثام فحملوا عليه - يا الله - من كل جانب وهم يوسعونه ضرباً بالسيوف وطعناً بالرماح فضربه زرعة بن شريك التميمي على كفه اليسرى، وضربه وغد آخر على عاتقه، وكان من أحد أعدائه عليه الخبيث سنان بن أنس، فقد أخذ يضربه تارة بالسيف وأخرى يطعنه بالرمح، وكان يفخر بذلك، وقد حكى للحجاج ما صنعه به باعتزاز قائلاً:

«دعسته بالرمح، وهبته بالسيف هيرأ».

فالناع الحجاج على قسوته وصاح به: أما إنكم لمن تجتمعوا في دار وأحاط به أعداء الله من كل جانب، وسيوفهم تقطر من دمه الزكي، يقول بعض المؤرخين إنه لم يضرب أحد في الإسلام كما ضرب الحسين فقد وجد به مائة وعشرون جراحة ما بين ضربة سيف وطعنة رمح ورمية سهم.

ومثل الإمام مدة من الوقت على وجه الأرض، وقد هابه الجميع ونكصوا من الإجهاز عليه يقول السيد حيدر:

فما أجلت الحرب عن مثله صريعاً يجبن شجعانها
وكانت هيته تأخذ بمجامع القلوب حتى قال بعض أعدائه: «لقد شغلنا جمال وجهه ونور بهجته عن الفكرة ففي قتله» وما انتهى إليه رجل إلا انصرف كراهية أن يتولى قتله.

وخرجت حفيدة الرسول ﷺ زينب من خبائثها وهي فزعة تندب شقيقها وبقية أهلها وتقول بذوب روحها:

«بيت السماء وقعت على الأرض».

وأقبل ابن سعد فصاحت زينب عليها السلام به : يا عمر أرضيت أن يُقتل أبو عبد الله وأنت تنظر إليه؟ فأشاح الخبيث بوجهه عنها ودموعه تسيل على لحيته المشورة ولم تعد العقيقة تقوى على النظر إلى أخيها وهو بتلك الحالة التي تميد بالصبر ، فانصرفت إلى خيالها لترعى المذاعير من النساء والأطفال .



زينب عند الفاجعة الكبرى

ومكث الإمام طويلاً من النهار، وقد أجهدته الجروح وأعياه نزيف الدماء، فصاح بالقتلة المجرمين:

«أعلى قتلي تجتمعون؟ أما والله لا تقتلون بعدي عبداً من عباد الله وايم الله اني لأرجو أن يكرمني الله بهوانكم، ثم يتقم لي منكم من حيث لا تشعرون...».

وكان الشقي الأثيم سنان بن أنس قد شهر سيفه فلم يدع أحداً يدنو من الإمام مخافة أن يغله على أخذ رأسه فيخسر الجائزة من سيده ابن مرجانة، والتفت الخبيث عمر بن سعد إلى شبث بن رباعي فقال له:

«انزل فجئني برأسه».

فأنكر عليه شبث وقال له:

«أنا بايعته ثم غدرت به، ثم أنزل فاحتز رأسه لا والله لا أفعل ذلك...».

والتابع ابن سعد فراح يهدده:

«إذاً اكتب إلى ابن زياد».

«اكتب له».

وصاح شمر بالأوغاد المجرمين من أصحابه: ويحكم ماذا تنتظرون بالرجل؟ اقتلوه ثكلتكم أمها لكم فاندفع خولي بن يزيد إلى الإجهاز عليه إلا أنه ضعف وأرعد فقد أخذته هيبة الإمام فأنكر عليه الرجس سنان بن أنس وصباح به: فتَّ الله في عضدك وأبان يدك، واشتد كالكلب على الإمام فاحتز رأسه الشريف فيما يقول بعض المؤرخين، ومسنذكر الأقوال في ذلك.

واحتز رأس الإمام عليه السلام وكانت على شفتيه ابتسامة الرضا والاطمئنان والنصر الذي أحرزه إلى الأبد.

لقد قدم الإمام روحه ثمناً للقرآن الكريم، وثمناً لكل ما تسمو به الإنسانية من شرف وعز وإباء. وقد كان الثمن الذي بذله غالياً وعظيماً فقد قتل مظلوماً مهضوماً غريباً بعد أن رزى بأبنائه وأهل بيته وأصحابه وذبح وهو عطشاناً أمام عائلته، فـأي ثمن أغلى من هذا الثمن الذي قدمه الإمام قرباناً خالصاً لوجه الله؟

لقد تاجر الإمام مع الله بما قدمه من عظيم التضحية والفاء، فكانت تجارتة هي التجارة الرابحة.

قال الله تعالى: ﴿لَا يَرَأُلُّ بُتْنَاهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِبَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقْطَعَ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ حِكْمَةٌ﴾^(١).

والشيء المحقق أن الإمام قد ربح بتجارتة وفاز بالفخر الذي لم يفز به أحد غيره، فليس في أسرة شهداء الحق من نال الشرف والمجد والخلود مثل ما ناله الإمام، فها هي الدنيا تعج بذكراه، وها هو حرم المقدس أصبح أعز حرم وأمنعه في الأرض.

لقد رفع الإمام العظيم راية الإسلام عالية خفاقة وهي ملطخة بدمه ودماء الشهداء من أهل بيته وأصحابه: وهي تضي في رحاب هذا الكون وتفتح الآفاق الكريمة لشعوب العالم وأمم الأرض لحربيتهم وكرامتهم.

لقد استشهد الإمام من أجل أن يقيم في ربوع هذا الكون دولة الحق، وينقذ المجتمع من حكم الأمويين الذين كفروا بحقوق الإنسان، وتحولوا البلاد إلى مزرعة لهم يصيرون منها حيثما شاءوا^(٢).



(١) سورة التوبه، الآية: ١١٠.

(٢) حياة الإمام الحسين للفرشي: ١٦٥ / ٣ - ١٩٩.

رواية مقتل الحسين عليه السلام عن الإمام الصادق عليه السلام

في كتاب الأمالى عن عبدالله بن منصور قال: قلت للصادق عليه السلام: حذّنني عن مقتل الحسين عليه السلام.

قال عليه السلام: لما حضرت معاوية الوفاة قال لابنه يزيد لعنه الله: قد ذللت لك الرقاب واتّي أخشي عليك من ثلاثة نفر مخالفون عليك وهم عبدالله بن عمر وعبدالله بن الزبير والحسين بن علي، فأمّا ابن عمر فهو معك فالزمه ولا تدعه، وأمّا ابن الزبير فاقتله إن ظفرت به فإنه ثعلب، وأمّا الحسين فقد عرفت حظه من رسول الله وهو من لحم رسول الله ودمه وقد علمت أنّ أهل العراق يخرجونه إليهم ثم يخذلونه فإن ظفرت به فلا تؤاخذه بفعله ولا تناهه بمكروه.

فلما هلك معاوية وتولى الأمر يزيد بعث عامله على المدينة عمّه عتبة بن أبي سفيان فقدم المدينة وبعث إلى الحسين عليه السلام وقال: إنّ أمير المؤمنين يزيد أمرك أن تباع له فقال: يا عتبة قد علمت إنّا معدن الرسالة وأعلام الحق ولقد سمعت جدي يقول: إنّ الخلافة محرمة على ولد أبي سفيان فكيف أباع أهل بيته قال رسول الله ص هذا؟

فكتب عتبة إلى يزيد أنّ الحسين بن علي لا يرى لك خلافة ولا بيعة فرأيك في أمره، فكتب إليه: إذا أتاك كتابي هذا فعجل إلى بإرسال رأس الحسين، فبلغ ذلك الحسين عليه السلام فهم بالخروج من الحجاز إلى العراق فلما أقبل الليل مضى يودع قبر جده ص فسطع له نور من القبر فعاد إلى موشه.

فلما كانت الليلة الثانية مضى إلى القبر يودعه فصلّى ثم سجد ونام فجاءه النبي ص وهو في منامه فضمّه إلى صدره وقبل ما بين عينيه وقال له: يا بني أنت كأني

أراك مرملأً بدمك بين عصابة من هذه الأمة، يا بنى إنك قادم على أبيك وأمك وأخيك وهم مشتاقون إليك وأن لك في الجنة درجات لا تناهها إلا بالشهادة فانتبه الحسين عليه السلام باكيًا فأتى أهله وأخبرهم بالرؤيا ووَدَّعْهُمْ وحمل أخواته على المحامل وابن أخيه وصار في أحد وعشرين من أهل بيته وأصحابه وسمع عبدالله ابن عمر بخروجه فركب خلفه وأدركه فقال له: ارجع إلى حرم جذك ولا تخرج إلى العراق، فأبى، فقال: إكشف لي عن الموضع الذي كان رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقبله منك، فكشف الحسين عليه السلام عن سرته فقبلها ابن عمر ثلاثة ويکي وقال: أستودعك الله يا أبا عبدالله فإنك مقتول في وجهك هذا.

فسار الحسين وأصحابه حتى نزل العذيب فقال فيها قائلة الظهر ثم انتبه من نومه باكيًا فقال له ابنه: ما ييكك يا أبه؟

قال: با بُني إنها ساعة لا تكذب الرؤيا فيها إنه عرض لي في منامي عارض فقال: تسرعون السير والمطايا تسير بكم إلى الجنة ثم سار حتى نزل الرحيمية فورده عليه رجل من أهل الكوفة يكتئي أبا هرم فقال: يابن النبي ما الذي أخرجك من المدينة؟

قال: ويحك يا أبا هرم شتموا عرضي فصبرت وطلبو مالي فصبرت وطلبو دمي فهربت وایم الله ليقتلني ثم ليلبسنهم الله ذلًا شاملًا وسيفًا قاطعاً، وبلغ عبدالله ابن زياد لعنه الله الخبر وأن الحسين نزل الرحيمية فأرسل إليه الحر بن يزيد في ألف فارس، قال الحر: فلما خرجت من منزلي متوجهاً نحو الحسين نوديت ثلاثة: يا حر أبشر بالجنة، فالتفت فلم أر أحداً فقلت: نكلت الحرامة يخرج إلى قتال ابن رسول الله ويُبَشَّرُ بالجنة فبلغه عند صلاة الظهر فأمر الحسين عليه السلام ابنه فاذن وأقام وصلى الحسين عليه السلام بالفريقين جميعاً، فلما سلم وثب الحر بن يزيد وسلم على الحسين فقال له الحسين عليه السلام: من أنت؟

قال: أنا الحر بن يزيد، فقال: يا حر علينا أم لنا؟

قال: يا بن رسول الله لقد بعثت لقتالك وأعوذ بالله أن أحشر من قبري وناصيتي مشدودة إلى رجلي، يا بن رسول الله أين تذهب إرجع إلى حرم جدك فإنك مقتول،
قال الحسين عليه السلام شرعاً:

سأمضي بما بالموت عاراً على الفتى

إذا ما نوى حقاً وجاهد مسلماً

ثم سار حتى نزل القطقطانية فنظر إلى فساطط مضروب لعبد الله بن الحز فأرسل إليه الحسين عليه السلام فقال له: إنك مذنب خاطئ وإن الله عزوجل آخذك بما أنت صانع إن لم تتب إلى الله فتنصرني، فقال: يا بن رسول الله لو نصرتك لكنت أول مقتول بين يديك ولكن هذا فرسي خذه إليك فأعرض عنه الحسين عليه السلام بوجهه وقال: لا حاجة لنا فيك ولا في فرسك وما كنت متخد المضلين عضداً، ولكن فرّ فلا لنا ولا علينا فإنه من سمع واعينا أهل البيت ثم لم يجيئنا به الله على وجهه في نار جهنم ثم سار حتى نزل كربلاء فقال: أيّ موضع هذا؟

فقيل: هذا كربلاء يا بن رسول الله فقال: هذا والله يوم كرب وبلاء وهذا الموضع الذي تهرق فيه دمائنا ويُباح فيه حريمنا فأقبل عبيد الله بن زياد بعسكره حتى نزل النخيلة ويعث إلى الحسين عمر ابن سعد في أربعة آلاف فارس وعبد الله بن الحسين وشبيث بن ربيع ومحمد بن الأشعث كل واحد في ألف فارس وكتب إلى عمر بن سعد إذا أتاك كتابي هذا فلا تمهلن الحسين بن علي وحُل بينه وبين الماء كما حيل بين عثمان وبين الماء يوم الدار، فلما وصله الكتاب نادى إنا قد أجلنا حسيناً وأصحابه يومهم وليلتهم فشق ذلك على الحسين وأصحابه فقام الحسين في أصحابه خطيباً فقال: اللهم إني لا أعرف أهل بيته أبداً ولا أذكر من أهل بيتي ولا أصحاباً هم خير من أصحابي وقد نزل بي ما ترون وأنتم في حلٍ من بيعتي وهذا الليل قد غشياكم فاتخذوه جمالاً وتفرقوا في سواده فإن القوم إنما يطلبونني ولو ظفروا بي لذهبوا عن طلب غيري.

فقام إليه عبدالله بن مسلم بن عقيل فقال: يا بن رسول الله ماذا يقول لنا الناس

إِنَّنَا خَذَلْنَا سَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِ الْأَعْمَامِ وَابْنَ نَبِيِّنَا لَمْ نُنْصُبْ مَعَهُ بَسِيفٍ وَلَمْ نُقَاتِلْ مَعَهُ بِرَمْحٍ لَا وَاللَّهُ أَوْ نَرِدْ مُورِدَكَ وَنَجْعَلْ دَمَائِنَا دُونَ دَمِكَ فَإِذَا فَعَلْنَا ذَلِكَ قَضَيْنَا مَا عَلَيْنَا، وَقَامَ إِلَيْهِ زَهْيرُ بْنِ الْقَيْنِ فَقَالَ: وَدَدْتُ أَنِّي قَتَلْتُ ثُمَّ نَشَرْتُ ثُمَّ قَتَلْتُ ثُمَّ نَشَرْتُ ثُمَّ قَتَلْتُ ثُمَّ نَشَرْتُ فِيكَ وَفِي الَّذِينَ مَعَكَ مَائَةً قُتْلَةً وَأَنَّ اللَّهَ دَفَعَ بِي عَنْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ، فَقَالَ لَهُ لِأَصْحَابِهِ: جَزِيتُمْ خَيْرًا.

ثُمَّ إِنَّ الْحَسَنَ عليه السلام أَمْرَ بِحَفِيرَةِ حَوْلِ عَسْكَرِهِ شَبَهِ الْخَنْدَقِ فَحَشِيتِ حَطَبًا وَأَرْسَلَ عَلَيْهَا ابْنَهُ فِي ثَلَاثِينَ فَارِسًا وَعِشْرِينَ رَاجِلًا لِيَسْتَقْوِيَ الْمَاءُ وَهُمْ عَلَى وَجْهِ شَدِيدٍ وَأَنْشَأَ الْحَسَنَ عليه السلام يَقُولُ شِعْرًا:

يَا دَهْرَافَ لَكَ مِنْ خَلْبِيلَ
كَمْ لَكَ فِي الإِشْرَاقِ وَالْأَصْبَلِ
مِنْ طَالِبٍ وَصَاحِبٍ فَتِيلَ
وَالْدَّهْرَ لَا يَقْنَعُ بِالْبَدِيلِ
وَإِنَّمَا الْأَمْرُ إِلَى الْجَلِيلِ
وَكُلَّ حَيٍّ سَالِكٌ سَبْبَلِي

ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: قَوْمًا فَاسْرَبُوا مِنَ الْمَاءِ يَكْنُ آخِرَ زَادَكُمْ وَتَوَضَّأُوا وَاغْتَلُوا وَاغْسِلُوا ثِيَابَكُمْ ثُمَّ صَلَّى بِهِمُ الْفَجْرُ وَعَبَّاهُمْ تَبْغِيَةُ الْحَرْبِ وَأَمْرَ بِالْحَفِيرَةِ فَأَضْرَمَتْ بِالنَّارِ لِيَقَاتِلَ الْقَوْمَ مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ وَأَفْبَلَ رَجُلًا مِنْ عَسْكَرِ ابْنِ سَعْدٍ يُقَالُ لَهُ ابْنُ أَبِي جَوَيْرَةَ فَقَالَ: يَا حَسَنَ أَبْشِرُوكُمْ بِالنَّارِ الَّتِي تَعَجَّلْتُمُوهَا فِي الدُّنْيَا، فَقَالَ الْحَسَنُ عليه السلام: اللَّهُمَّ أَذْفِهِ عَذَابَ النَّارِ فِي الدُّنْيَا فَنَفَرَ بِهِ فَرْسَهُ وَأَلْقَاهُ فِي تِلْكَ النَّارِ فَاحْتَرَقَ.

ثُمَّ بَرَزَ مِنْ عَسْكَرِ عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ رَجُلٌ آخِرٌ يُقَالُ لَهُ تَمِيمُ بْنُ حَصَينٍ فَنَادَى يَا حَسَنَ وَيَا أَصْحَابَ حَسَنٍ أَلَا تَرَوْنَ إِلَى مَاءِ الْفَرَاتِ يَمْوِجُ كَأَنَّهُ بَطْوَنُ الْحَيَّاتِ وَاللهُ لَا ذَقْتُمْ مِنْهُ قَطْرَةً حَتَّى تَذَوَّقُوا الْمَوْتَ جَرِعاً.



فقال الحسين ﷺ: اللهم اقتل هذا عطشاً في هذا اليوم فخنقه العطش حتى سقط عن فرسه فوطأته الخيل بسناياها فمات.

ثم أقبل محمد بن أشعث بن قيس الكندي وقال: أية حرمة لك من رسول الله ليست لغيرك؟

فقال: إن الله اصطفى آدم ونوحًا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين، والله إنَّ مُحَمَّداً لمن آل إبراهيم وأنَّ العترة الهادية لمن آل محمد.

فقال: اللهم أرِّي محمد بن الأشعث ذلًا في هذا اليوم فخرج من العسكر يتبرز فسلط الله عليه عقراً فلدغه فمات بادئ العورة فبلغ العطش من الحسين وأصحابه فدخل عليه رجل من أصحابه يُقال له يزيد الهمданى فقال: ائذن لي فأخرج إليهم فأكلّمهم، فأذن له فخرج إليهم.

وقال: يا معاشر الناس إنَّ الله بعث مُحَمَّداً بالحق بشيراً ونذيراً وهذا ماء الفرات تقع فيه خنازير السواد وكلابها وقد حيل بينه وبين ابنه.

فقالوا: يا يزيد قد أكثرت الكلام فاكف فوالله ليعطشنَّ الحسين كما عطش من كان قبله، فقال الحسين ﷺ: أقعد يا يزيد ثم وثب الحسين ﷺ متوكلاً على سيفه فنادي بأعلى صوته: أنسدكم الله هل تعرفوني؟

قالوا: نعم أنت ابن رسول الله وسبقه.

فقال: أنسدكم الله هل تعلمون أنَّ جدِّي رسول الله؟

قالوا: اللهم نعم.

قال: هل تعلمون إنَّ أمِّي فاطمة بنت محمد؟

قالوا: اللهم نعم.

قال: أنسدكم الله هل تعلمون أنَّ أبي عليَّ بن أبي طالب؟

قالوا: اللهم نعم.

قال: أنشدكم الله هل تعلمون أن جدتي خديجة أول نساء هذه الأمة إسلاماً؟

قالوا: اللهم نعم.

قال: أنشدكم الله هل تعلمون أن سيد الشهداء حمزة عم أبي؟

قالوا: اللهم نعم.

قال: فأنشدكم الله هل تعلمون أن جعفر الطيار في الجنة عمي؟

قالوا: اللهم نعم.

قال: فأنشدكم الله هل تعلمون أن هذا سيف رسول الله وأنا متقلده؟

قالوا: اللهم نعم.

قال: فأنشدكم الله هل تعلمون أن هذه عمامة رسول الله أنا لا بسها؟

قالوا: اللهم نعم.

قال: فأنشدكم الله هل تعلمون أن علياً كان أولهم إسلاماً وأعلمهم علمًا وأعظمهم حلمًا وأنه أول كل مؤمن ومؤمنة؟

قالوا: اللهم نعم.

قال: فِيمَ تَسْتَحْلُونَ دِمِيْ وَأَبِي الدَّائِدِ عَنِ الْحَوْضِ غَدَّاً يَذُودُ عَنْهُ رِجَالٌ كَمَا يُذَادُ
البعير الصادر عن الماء ولواء الحمد في يد جدتي يوم القيمة؟

قالوا: قد علمنا ذلك كله ونحن غير تاركك حتى تذوق الموت عطشاً، فأخذ
الحسين عَلَيْهِ الْمُصَاطِقَ بطرف لحيته وهو يومئذ ابن سبع وخمسين سنة.

ثم قال: اشتد غضب الله على اليهود حين قالوا عزير ابن الله واشتد غضب الله
على النصارى حين قالوا المسيح ابن الله واشتد غضب الله على المجوس حين عبدوا
النار من دون الله واشتد غضب الله على قوم قتلوا نبيهم واشتد غضب الله على هذه
العصابة الذين يريدون قتل ابن نبيهم.

قال: فضرب الحرّ بن يزيد فرسه إلى عسكر الحسين عليه السلام واضعاً يده على رأسه
وهو يقول: اللهم إليك أُنِيب فتب علىي فقد أرعبت قلوب أوليائك وأولاد نبيك، يا بن
رسول الله هل من توبة؟

قال: نعم تاب الله عليك.

قال: يا بن رسول الله ائذن لي فأقاتل عنك فأذن له فبرز وهو يقول شعراً:

أضرب في أعناقكم بالسيف

عن خير من حلّ بلاد الخيف

قتل منهم ثمانية عشر رجلاً ثم قتل فأناه الحسين عليه السلام ودمه يشخب فقال: بخ
بخ يا حرّ أنت حرّ كما سميت في الدنيا والآخرة ثم أنشأ الحسين عليه السلام يقول شعراً:

لنعم الحرّ حرّ بنى رياح

صبورٌ عند مختلف الرماح

ونعم الحرّ إذ ساوي حسيناً

فجاد بنفسه عند الصياغ

ثم برز من بعده ذهير بن القين وهو يقول مخاطباً للحسين عليه السلام شعراً:

اليوم نلقى جدك النبیا

وحسناً والمرتضى علياً

قتل منهم تسعه عشر رجلاً ثم صرع وخرج من بعده حبيب بن مظاهر وهو يقول

شعراً:

انا حبيب وأبي مظاهر

لنحن أزكي منكم وأطهر

قتل منهم واحداً وثلاثين رجلاً ثم قتل ويزد وهب بن وهب وكان نصرانياً أسلم
على يدي الحسين عليه السلام هو وأمه وركب فرساً وتناول عمود الفسطاط فقاتل وقتل من

ال القوم سبعة أو ثمانية ثم استؤسر فأمر ابن سعد بقتله فقتل ورمي برأسه إلى عسكر الحسين عليه السلام فأخذت أمّه سيفه وبرزت فقال لها الحسين عليه السلام: يا أمّ وهب إجلسي فقد وضع الله الجهاد عن النساء إنك وابنك مع جدي محمد صلوات الله عليه في الجنة.

وبرز إليهم عبدالله بن مسلم بن عقيل وأنشد شعراً:

أقسمت لا أقتل إلا حرّاً

وإن وجدت الموت شيئاً ماماً

أكره أن ادعى جباناً فرّا

إنَّ الْجَبَانَ مِنْ عَصَى وَفَرَّا

فقتل ثلاثة وقتل، وبرز من بعده عليّ بن الحسين عليه السلام، فلما بُرِزَ إليهم دمعت عين الحسين عليه السلام فقال: اللهم كن أنت الشهيد عليهم فقد بُرِزَ إليهم ابن رسولك وأشبه الناس وجهها وسمة به فجعل يقول شعراً:

أنا علّي بن الحسين بن علّي نحن ورب بيت الله أولى بالنبي
فقتل عشرة ثم رجع إلى أبيه فقال: يا أبا العطش، فقال له الحسين عليه السلام: صبراً
يا بُنْيَ يسقيك جدك بالكأس الأولى، فرجع وقتل منهم أربعة وأربعين ثم قُتل عليه السلام
ثم بُرِزَ من بعده القاسم بن الحسن وهو يقول شعراً:

لا تجزعني نفسي فكلُّ فلانٍ

البيوم تلقين ذرى الجنان

فقتل منهم ثلاثة ثم رمي عن فرسه فنظر الحسين عليه السلام يميناً وشمالاً فلم ير أحداً فقال: اللهم إنك ترى ما يصنع بولد نبيك وحالوا بينه وبين الماء ورمي بهم فوقع في نحره وخرّ عن فرسه فأخذ السهم فرمى به وجعل يتلقى الدم بكفه، فلما امتلأت لطخها رأسه ولحيته ويقول ألقى الله عزوجل أنا مظلوم متلظخ بدمي ثم خرّ على خدّه الأيسر صريعاً وأقبل عذر الله سنان وشمر بن ذي الجوشن لعنهمما الله تعالى في رجال



من أهل الشام حتى وقفوا على رأسه فقال بعضهم لبعض: ما تنتظرون أريحا الرجل فنزل سنان وأخذ بلحية الحسين عليه السلام وجعل يضرب بالسيف في حلقه وهو يقول: والله إني لأحتزّ رأسك وأنا أعلم أنك ابن رسول الله وخير الناس أمّا وأباً.

وأقبل فرس الحسين حتى لطخ عرفة وناصيته بدمه وجعل يركض ويصهل وسمعت بنات النبي صهيله فخرجن فإذا الفرس بلا راكب فعرفن أنّ حسيناً قد قُتل وخرجت أم كلثوم بنت الحسين واضعة يدها على رأسها تدب وامحمداء هذا الحسين بالعرا قد سلب العمامة والرداء.

وأقبل سنان لعنه الله حتى أدخل رأس الحسين عليه السلام على ابن زياد وهو يقول شرعاً:

املاً ركابي فضةً أو ذهباً
إني قتلنا الملك الممحجاً
قتلتُ خير الناس أمّا وأباً
وخيرهم إذ ينسبون نسباً

قال له ابن زياد: ويحك إذا علمت إنّه خير الناس أمّا وأمّا لم قتلت؟ فأمر به فضربت عنقه وعجل الله بروحه إلى النار، وأرسل ابن زياد قاصداً إلى أم كلثوم بنت الحسين يقول لها: الحمد لله الذي قتل رجالكم فكيف ترون ما فعل بكم؟

فقالت: يا ابن زياد لئن قررت عينك بقتل الحسين فطالما قررت عين جدّه به وكان يقبّله ويلثم شفتيه يا ابن زياد أعد لجدّه جواباً فإنه خصمك غداً.

وقال السيد علي بن طاووس: إنّ مروان بن الحكم قال للحسين عليه السلام: بايع ليزيد يكن خيراً لك في دينك ودنياك.

قال الحسين عليه السلام: إنا لله وإنّا إليه راجعون وعلى الإسلام السلام إذ قد بليت الأمة برابع مثل يزيد.

وروى الكليني طاب ثراه في كتاب الوسائل مسندًا إلى حمزة بن حمران عن أبي عبد الله ع قال: ذكرنا خروج الحسين ع وتخلف ابن الحنفية فقال أبو عبد الله ع: يا حمزة إني سأخبرك بحديث لا تسأل عنه بعد مجلسك هذا؛ إن الحسين ع لما فصل متوجهاً دعا بقطراس وكتب فيه: بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علي بن أبي طالب إلىبني هاشم؛ أمّا بعد فإنه من لحق بي منكم استشهد ومن تخلف لم يبلغ مبلغ الفتح والسلام^(١).



(١) الكليني والكافى: ٢١٦، رياض الدرجات: ٥٠١.

زينب ليلة العاشر

قال أبو مخنف: حدثني الحارث بن كعب وأبو الضحاك عن علي بن الحسين بن علي قال: إني جالس في تلك العشية التي قتل أبي صبيحتها وعمتي زينب عندي تمرضني إذ اعتزل أبي بأصحابه في خباء له وعنه حوى مولى أبي ذر الغفاري وهو يعالج سيفه ويصلحه وابي يقول:

يادهر أفالك من خليل
كم لك بالاشراق والاصيل
من صاحب أو طالب فتيل
والدهر لا يقنع بالبديل
وإنما الأمر إلى الجليل
وكل حي سالك السبيل

قال: فأعادها مرتين أو ثلاثة حتى فهمتها فعرفت ما أراد فخنتني عبرتي فرددت دمعي ولزست السكون فعلمت أن البلاء قد نزل، فأما عمتي فإنها سمعت ما سمعت وهي امرأة وفي النساء الرقة والجزع، فلم تملك نفسها أن وثبت تجر ثوبها وانها لحاسرة حتى انتهت إليه فقالت: واثكلاه ليت الموت أعدمني الحياة اليوم ماتت فاطمة أمي، وعلى أبي، وحسن أخي، يا خليفة الماضي وثمال الباقي.

قال: فنظر إليها الحسين عليه السلام فقال: يا أخي لا يذهبن بحلنك الشيطان، قالت: بابي أنت وامي يا أبا عبد الله استقتل نفسي فداك، فرد غصته وترقرقت عيناه وقال: لو ترك القطاء ليلاً لنام، قالت: يا ويلتي افتغصب نفسك اغتصاباً فذلك اقرح

لقلبي واشد على نفسي، ولطممت وجهها واهوت إلى جيبيها وشفتها وخرت مغشيا عليها.

فقام إليها الحسين عليه السلام فصب على وجهها الماء وقال لها: يا أختي اتقى الله، وتعزى بعزاء الله، وأعلم أن أهل الأرض يموتون، وإن أهل السماء لا يبقون، وإن كل شيء هالك إلا وجه الله الذي خلق الأرض بقدرته، ويبعث الخلق فيعودون وهو فرد وحده، أبي خير مني، وأمي خير مني، وأخي خير مني، ولهم ولهم ولكل مسلم برسول الله أسوة.

قال: فعزاها بهذا ونحوه وقال لها: يا أختي إنني أقسم عليك فأبرأي قسمى ولا تشقي علي جيما، ولا تخمشي علي وجهها، ولا تدعني علي بالويل والثبور إذا أنا هلكت.

قال: ثم جاء بها حتى أجلسها عندي، وخرج إلى أصحابه، فأمرهم أن يقربوا بعض بيوتهم من بعض، وأن يدخلوا الأطناط بعضها في بعض، وأن يكونوا هم بين البيوت إلا الوجه الذي يأتيهم منه عدوهم ^(١).



(١) انظر مقتل الحسين لأبي مخنف: ١٢٠

زینب عند شهادة علي الکبر

قال أبو مخنف: حدثني زهير بن عبد الرحمن بن زهير الخثعمي قال: كان آخر من بقى مع الحسين من أصحابه سويد بن عمرو بن أبي المطاع الخثعمي، قال: وكان أول قتيل من بني أبي طالب يومئذ علي الکبر ابن الحسين بن علي وأمه ليلي ابنة أبي مرة بن عروة بن مسعود الثقفي وذلك انه أخذ يشد على الناس وهو يقول:

أنا علي بن حسين بن علي نحن ورب البيت أولى بالنبي
تالله لا يحكم فيما ابن الداعي

قال: ففعل ذلك مراراً، فبصريه مرة بن منقذ بن النعمان العبدى ثم الليثي فقال: على آثار العرب ان مربى يفعل مثل ما كان يفعل ان لم اكله أباها، فمرر يشد على الناس بسيفه، فاعتراضه مرة بن منقذ فطعنه فصرع واحتوا له الناس فقطعوا هم بأساففهم.

قال أبو مخنف: حدثني سليمان بن أبي راشد عن حميد بن مسلم الأزرى قال: سماع اذنى يومئذ من الحسين يقول: قتل الله قوما قتلوك، يا بني ما اجرأهم على الرحمن، وعلى انتهاء حرمة الرسول، على الدنيا بعدك العفا.

قال: وكأني انظر إلى امرأة خرجت مسرعة كانها الشمس الطالعة تنادي: يا أخيه ويا ابن أخيه فقيل هذه زینب ابنة فاطمة ابنة رسول الله ﷺ، فجاءت حتى أكبت عليه فجاءها الحسين فأخذ بيدها فردها إلى الفسطاط. وأقبل الحسين إلى ابنته وأقبل فتيانه إليه فقال: احملوا أخاكم، فحملوه من مصرعه حتى

وضعوه بين يدي الفسطاط الذي كانوا يقاتلون أمامه^(١).

وقال القرشي : أجمع المؤرخون أن علي بن الحسين الأكبر كان يضارع جده الرسول ﷺ، في خلقه وأخلاقه التي امتاز بها على سائر النبيين ، وأعظم بهذه الثورة التي ملكها سليل هاشم فقد ملك جميع الطاقات الإنسانية والمُثل الكريمة التي يسمو بها العظماء والمصلحون.

وكان البارز من معاني أخلاقه الإباء والشهم وعزّة النفس والاندفاع الهائل في ميادين الكرامة الإنسانية، فقد آثر الموت واستهان بالحياة في سبيل كرامته، ولا يخضع لحكم الداعي ابن الداعي ، وقد بعث عمر بن سعد رجلاً من أصحابه فناداه: «إن لك قراية بأمير المؤمنين - يعني يزيد - ونريد أن نرعى هذا الرحم، فإن شئت آمناك؟».

فسخر منه علي بن الحسين وصاح به :

«القراية رسول الله أحق أن ترعاى».

وكان من أبرز أبناء الإمام وأكثربنهم مواساة وحرضاً عليه، وهو أول من اندفع بحماس بالغ من الهاشميين إلى الحرب ، وكان عمره فيما يقول المؤرخون ثمانى عشرة سنة فلما رأه الإمام أخذ يطيل النظر إليه، وقد ذابت نفسه حزناً وأشرف على الاحتضار، لأنه رأى ولده الذي لا ند له قد ساق نفسه إلى الموت، فرفع شيبته الكريمة نحو السماء وراح يقول بحرارة وألم مضى :

«اللَّهُمَّ اشهدْ عَلَى هُولَاءِ الْقَوْمِ فَقَدْ بَرَزَ إِلَيْهِمْ غَلامٌ أَشَبَّ النَّاسَ بِرَسُولِكَ مُحَمَّدَ ﷺ خَلْقًا وَخَلْقًا وَمَنْطَقًا، وَكَنَا إِذَا اسْتَقْنَا إِلَى رُؤْيَةِ نَبِيِّنَا إِلَيْهِ... اللَّهُمَّ امْنَعْهُمْ بِرَبَّاتِ الْأَرْضِ، وَفَرِّقْهُمْ نَفْرِيقًا، وَمَزْقْهُمْ تَمزِيقًا، وَاجْعَلْهُمْ طَرَائِقَ قَدَدًا، وَلَا تَرْضِيَ الْوَلَاةَ عَنْهُمْ أَبَدًا، فَلَئِنْهُمْ دَعَوْنَا لِيَنْصُرُونَا ثُمَّ عَدُوا عَلَيْنَا بِقَاتِلُونَا».

(١) انظر مقتل الحسين لأبي مخنف: ١٩٧

ويلمس في هذه الكلمات الحزينة مدى أساه على ولده الذي استوعب نفسه حباً له، وقد دعا الله - بحرارة - أن ينزل على تلك العصابة المجرمة عذابه الأليم في هذه الدنيا وتقطع قلب الإمام حزناً على ولده فصاح بال مجرم الأئمِّ عمر بن سعد.

«ما لك قطع الله رحمك، ولا بارك لك في أمرك، وسلط عليك من يلبحك بعدي على فراشك، كما قطعت رحمي ولم تحفظ قرابتني من رسول الله ﷺ ثم تلا قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَنْطَقَ نَادِمَ رَوْحًا وَمَالَ إِنْرَاهِيمَ وَمَالَ عِمَرَأَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَيِّعُ عَلِيهِ﴾^(١).

وشييع الإمام ولده بدموع مشفوعة بالحزن والزفرات، وخلفه نساء أهل البيت وقد علا منها الصراخ والعويل على شبيه رسول الله ﷺ الذي ستتناه布 شلوه السيف والرماح.

وانطلق الفتى إلى حومة الحرب مزهوأً لم يختلج في قلبه خوف ولا رعب، وهو يحمل هيبة الرسول ﷺ وشجاعة أمير المؤمنين وبأس حمزة وإباء الحسين، وتوسط حرب الأعداء وسيوفهم وهو يرتجز بعزه وتصميم محامياً عن دين الله:

أنا علي بن الحسين بن علي نحن رب البيت أولى بالنبي
تا الله لا يحكم علينا ابن الداعي

أجل والله يا فخر هاشم أنت وأبوك أولى بالنبي وأحق بمقامه، فأنتم أقرب الناس إليه وأصدقهم به، ولكن الأطماء السياسية التي تغلبت على القوم هي التي دفعتكم عن مقامكم، وسلطت عليكم هذه الطغمة الجائرة فعمدت إلى تقطيع أوصالكم واستئصال شأفتكم ليخلو لها الجو في التآمر على المسلمين بغير الحق.

وأعلن علي بن الحسين في رجزه عن روعة بأسه وشدة ابائه، وانه يؤثر الموت على الخنوع للداعي ابن الداعي .. والتجم مع أعداء الله وقد ملا قلوبهم رعباً وفزعاً

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٣ - ٣٤.

وأبدى من البساطة ما يقصر عن الوصف، فقد ذكرهم ببطولات جده أمير المؤمنين، وقد قتل فيما يقول بعض المؤرخين مائة وعشرين فارساً سوى المجرورين وألح عليه العطش فففل راجعاً إلى أبيه يشكو إليه ظماء القاتل ويودعه الوداع الأخير، واستقبله أبوه بحرارة فبادره علي قائلاً:

«يا أبة العطش قد قتلتني، وثقل الحديد قد أجهدني، فهل إلى شربة ماء من سيل أقوى بها على الأعداء؟».

والتابع الإمام كأشد ما تكون اللوعة ألماً ومحنة، فقال له بصوت خافت وعيناه تفيضان دموعاً:

«واغوثاه ما أسرع الملتفى بجذك، فيسقيك بكأسه شربة لا تظماً بعدها أبداً». وأخذ لسانه فمصه ليりمه ظماء فكان كشقة مبرد من شدة العطش ودفع إليه خاتمه ليضعه في فيه.

لقد كان هذا المنظر الرهيب من أفعع ما رزى به الإمام الحسين لقد رأى فلذة كبده وهو في غضارة العمر وريعان الشباب، وقد استواعت الجراحات جسمه الشريف وقد أشرف على الهلاك من شدة العطش وهو لم يستطع أن يسعفه بجرعة ماء ليروي ظماء، يقول الحجة الشيخ عبد الحسين صادق في رائعته:

يشكوا لخیر أب ظماء وما اشتکى	ظماء الحشا إلا إلى الظامي الصدي
كل حشاشته كصالیة الغضا	ولسانه ظماء كشقة مبرد
فانصاع يؤثره عليه بريقه	لو كان ثمة ريقه لم يحمد
وقفل علي بن الحسين راجعاً إلى حومة الحرب وقد فتك الجروح بجسمه	
وفقت العطش كبده، وهو لم يحفل بما هو فيه، وإنما استواعت فكره وحدة أبيه	
وتضافر أعداء الله على قتله، وجعل يرتجز:	

الحرب قد بانت لها حقائق	وظهرت من بعدها مصادق
والله رب العرش لا نفارق	جموعكم أو تغمد البراق

لقد أعرب فخر هاشم بهذا الرجز بأن الحقائق قد ظهرت في هذه الحرب، وتجلت للجميع الأهداف النبيلة التي ينشدها أهل البيت، وانهم سيقون يناضلون عنها حتى تغدو البارقة.

وجعل علي الأكبر يقاتل أشد القتال وأعنفه حتى قتل تمام المئتين وقد ضجع العسكر فيما يقول المؤرخون من شدة الخسائر التي مُني بها، فقال الو迫ر الخبيث مرة بن منفذ العبدى على آثام العرب إن لم أثكل أباه وأسرع الخبيث إلى شبيه رسول الله ﷺ فطعنه بالرمح في ظهره وضربه ضربة غادرة بالسيف على رأسه ففلق هامته، واعتنق علي فرسه يظن أنه يرجعه إلى أبيه ليتزود بالنظر إليه، إلا أن الفرس حمله إلى معسكر الأعداء فأحاطوا به من كل جانب ولم يكتفوا بقتله وإنما راحوا يقطعونه بسيوفهم إرياً إرياً تشفيأً منه لما ألحقه بهم من الخسائر الفادحة، ونادي علي رافعاً

صوته :

«عليك مني السلام أبا عبد الله، هذا جدي رسول الله قد سقاني بكأسه شربة لا أظماً بعدها، وهو يقول: إن لك كأساً مذخورة».

وحمل الأثير هذه الكلمات إلى أبيه الثاكل الحزين فقطعت قلبه ومزقت أحشاءه ففرز إليه وهو خائر القوى منهـ الركن فانكب عليه، ووضع خده على خده، وهو جثة هامدة قد قطعت شلوه السيوف في وحشية قاسية، فأخذ يذرف آخر دموعه وهو يقول بصوت خافت قد لفظ شظايا قلبه فيه:

«قتل الله قوماً قتلوك، يا بني ما أجرأهم على الله، وعلى انتهاءك حرمة الرسول على الدنيا بعدك العفا».

وهرعت إليه الفتية من عمومته وأبناء عمومته فألقوا بنفسهم عليه وهم يوسعونه تقبلاً ويلشمون جراحاته، ويقسمون على أن يمضوا على ما مضى عليه، وأمرهم الإمام أن يحملوه إلى المخيم.

وهرعت الطاهرة البتول حفيدة النبي ﷺ زينب ؓ فانكبت على جثمان ابن أخيها تضميه بدموعها، وتندبه بأشجى ما تكون الندبة، وقد انهارت أمام ابن أخيها

الذی کان قبل ساعۃ یملاً العین اهابه، وأثر منظرها الحزین فی نفس الإمام فجعل
یعزیها بمحاباها الألیم، وهو يردد: «علی الدنيا بعدك العفا».

لقد کان علي بن الحسين الرائد والزعيم لكل أبي شريف مات عصيًّا على الضيم
في دنيا الإباء والشرف.

وداعاً يا بطل الإسلام.

وداعاً يا فخر هاشم.

وداعاً يا فجر كل ليل.

ونحن نودعك بالأسى والحزن ونردد مع أبيك كلماته الحزينة «علی الدنيا بعدك
العفا»^(١).



(١) حیاة الإمام الحسین للقرشی: ١٦٥/٣.

رواية ابن مخنف لمقتل أولاد زينب

قال أبو مخنف: ثم إن عمرو بن صبيح الصدائي رمى عبد الله^(١) بن مسلم بن عقيل بسهم فوضع كفه على جبهته .
 فأخذ لا يستطيع أن يحرك كفيه ثم انتهى له بسهم آخر ففلق قلبه ، فاعتورهم الناس من كل جانب فحمل عبد الله بن قطبة الطائي .
 ثم النبهاني على عون بن عبد الله^(٢) بن جعفر بن أبي طالب .

(١) هو عبد الله بن مسلم بن عقيل بن أبي طالب رضوان الله عليهم أمه رقيه بنت أمير المؤمنين وأمها الصهباء أم حبيب بنت عباد بن ربيعة ابن يحيى بن العبد بن علقمة التغلبية .
 قيل بيعت لأمير المؤمنين من سبي اليمامة .

وقيل، من سبي عين التمر، فاولدها علي عليه السلام عمر الاطرف ورقية.

قال السروي: تقدم عبد الله بن مسلم الحرب فحمل على القوم وهو يقول:
اليوم ألقى مسلماً وهو أبي

وعصبة بادوا على دين النبي حتى قتل ثمانية وتسعين رجلاً بثلاث حملات: ثم رماه عمرو ابن صبيح الصدائي بسهم .

قال حميد بن مسلم: رمى عمرو عبد الله بسهم وهو مقبل عليه، فاراد جبهته، فوضع عبد الله يده على جبهته يتلقى بها السهم .

فسمر السهم يده على جبهته، فاراد تحريكها فلم يستطع، ثم انتهى له بسهم آخر ففلق قلبه، فوقع صريعاً، وكانت قتله بعد علي بن الحسين فيما ذكره أبو مخنف والمدائني وأبا الفرج دون غيرهم.

إيصار العين في أنصار الحسين (ص ٥٠ ط النجف).

(٢) هو عون بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عليه السلام أمه زينب العقيلة الكبرى بنت أمير المؤمنين عليه السلام، وأمها فاطمة الزهراء بنت رسول الله عليه السلام .

فقتله وحمل عامر بن نهشل التميمي على محمد بن^(١) عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فقتله^(٢).



(١) هو محمد بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، أمه الخوصاء بنت حفصة بن ثقيف بن ربيعة بن عائذ بن ثعلبة بن عكایة بن صعب بن علي بن بكر بن رائل . وامها هند بنت سالم بن عبد العزيز بن محروم ابن سنان بن موله بن عامر بن مالك بن تيم اللات بن ثعلبة ، وامها ميمونة بنت بشر بن عمرو بن الحرت بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن الحسين بن عكایة بن صعب بن علي .

قال السروى : نقدم محمد قبل عرون إلى الحرب فبرز إليهم .

وهو يقول :

أشكوا إلى الله من العدوا	فعال قوم في الردى عميان
قد بدلوا معالم القرآن	ومحكم التنزيل والتبیان .
فقتل عشرة أنفس ، ثم تعاطفوا عليه ، فقتله عامر بن نهشل التميمي وفيه يقول سليمان بن قتة من القصيدة المتقدمة على الولاء .	

وسما النبي غور فيهم	قد علوه بصارم مصقول
فإذا ما بكبت عيني فجودي	يدموع تسيل كل مسيل
إيصار العين في أنصار الحسين (ص ٤٠ ط النجف)	

(٢) انظر مقتل الحسين لأبي مخنف : ١٩٨ .



إرسال عبد الله بن جعفر أولاده لنصرة الحسين

وقال أهل السير: انه لما خرج الحسين عليه السلام من مكة كتب إليه عبد الله بن جعفر كتابا يسأله فيه الرجوع عن عزمه، وارسل إليه ابنيه عونا ومحمدًا، فاتياه بوادي العقيق قبل أن يصل إلى مسامنة المدينة، ثم ذهب عبد الله إلى عمرو بن سعيد بن العاص عامل المدينة فساله أمانا للحسين، فكتب وارسله إليه مع أخيه يحيى وخرج معه عبد الله فلقيا الحسين عليه السلام بذات عرق، فأقرأه الكتاب فأبى عليهما وقال: إني رأيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في منامي، فامرني بالمسير وإنني متله إلى ما أمرني به، وكتب جواب الكتاب إلى عمرو بن سعيد، ففارقاه ورجعا، وقد أوصى عبد الله ولديه بالحسين واعتذر منه، قالوا: ولما ورد نعي الحسين ونعيهما إلى المدينة كان عبد الله جالسا في بيته، فدخل الناس يعزونه، فقال غلامه أبوالسلام: هذا ما لقينا ودخل علينا من الحسين، فحذفه عبد الله بنعله وقال: يا بن اللخاء أللحسين تقول هذا، والله لو شهدته لما فارقته حتى أقتل معه، والله انهمما لمما يسخ بالنفس عنهمما ويهون على المصاب بهما، انهمما اصيبا مع أخي وابن عمى مواسين له صابرين معه، ثم أقبل على الجلساء فقال: الحمد لله اعزز على بمصرع الحسين ان لا أكن نسيت حسيناً بيدي فقد آسيته بولدي.

قال السروي: يرزعون بن عبد الله بن جعفر إلى القوم وهو يقول:

ان تنكروني فانا بن جعفر شهيد صدق في الجنان ازهر
يطير فيها بجناح أخضر كفى بهذا شرفا في المحشر
فضرب فيهم بسيفه حتى قتل منهم ثلاثة فوارس وثمانية عشر راجلا ثم ضربه

عبد الله بن قطنة الطائي النبهاني بسيفه فقتلها. وفيه يقول سليمان ابن قتة التميمي من قصيدة التي يرثى بها الحسين عليه السلام.

عيني جودي بعبرة وعويل
واندبي ان بكبت آل الرسول
ستة كلهم لصلب علي
قد اصيروا وسبعة لعقليل
واندبي ان ندبت عونا اخاهم
ليس فيما ينويهم بخذول
فلعمري لقد اصيб ذو القربي
فبكى على المصاب الطويل
أبواللسلامس: باللام المفتوحة والسين المهملة ثم لام وسين بينهما ألف ويمضي
في بعض الكتب أبوالسلامسل وهو تصحيف. قطنة: بالقاف المضمومة والنون بينهما
طاء النبهاني بالنون والباء المفردة منسوب إلى نبهان بطن من بطون طيء^(١).



(١) أبصار العين في أنصار الحسين (ص ٣٩ ط النجف).

زينب عند مقتل عبد الله بن الحسن

قال أبو مخنف: ثم إن شمر بن ذي الجوشن أقبل في الرجالية نحو الحسين فأخذ الحسين يشد عليهم، فينكشرون عنه، ثم إنهم أحاطوا به احاطة، وأقبل إلى الحسين^(١) غلام من أهله فأخذته اخته زينب ابنة علي عليه السلام لتحبسه، فقال لها الحسين: احبسيه، فأبى الغلام وجاء يشتد إلى الحسين فقام إلى جنبه.

قال: وقد أهوى بحر بن كعب ابن عبيد الله منبني تيم الله بن ثعلبة بن عكابة إلى الحسين بالسيف، فقال الغلام: يا بن الخبيثة أنت قتل عمي؟ فضربه بالسيف فاتقه الغلام بيده فأطنه إلا الجلدة فإذا يده معلقة، فنادي الغلام يا امته، فأخذته الحسين فضمها إلى صدره وقال: يا بن أخي اصبر على ما نزل بك، واحتسب في ذلك الخير، فإن الله يلحقك بأبائك الصالحين برسول الله عليه السلام وعلي بن أبي طالب وحمزة وجعفر والحسن بن علي صلى الله عليهم أجمعين.

قال أبو مخنف: حدثني سليمان بن أبي راشد عن حميد بن مسلم قال: سمعت الحسين يومئذ وهو يقول: اللهم أمسك عنهم قطر السماء، وامنعهم بركات الأرض، اللهم فإن متعتهم إلى حين ففرقهم فرقا، واجعلهم طرائق قددا، ولا ترض عنهم الولاة أبداً، فإنهم دعونا لينصروننا فعدوا علينا فقتلونا^(٢).

وقال الشيخ المفيد: لما ضرب مالك بن النسر الكندي بسيفه الحسين على رأسه بعد أن شتمه القى الحسين عليه السلام قلنسته ودعا بخرفة وقلنسوة، فشد رأسه

(١) هو عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام أمه بنت الشليل بن عبد الله البجلي والشليل أخو جرير بن عبد الله كانت لهما صحبة.

(٢) انظر مقتل الحسين لأبي مخنف: ٢٠٠.

بالخرقة ولبس القلنسوة واعتم عليها: رجع عنه شمر ومن معه إلى مواضعهم فمكث هنيئة ثم عاد وعادوا إليه واحاطوا به، فخرج عبد الله بن الحسن من عند النساء وهو غلام لم يراهاق، فشد حتى وقف إلى جنب عمه الحسين عليه السلام فلحقته زینب عليه السلام لتحبسه فأبى، فقال لها الحسين أحبسيه يا أخية، فامتنع امتناعاً شديداً وقال: والله لا أفارق عمي. واهوى بحر بن كعب إلى الحسين بالسيف، فقال له الغلام ويلك يا بن الخبيثة اتقتل عمي؟ فضربه بحر بالسيف، فاتقاء الغلام بيده، فاطنها إلى الجلد فإذا هي معلقة. فنادى الغلام: يا أماه، فأخذه الحسين عليه السلام وضممه إليه وقال: يا بن أخي: اصبر على ما نزل بك، واحتسب في ذلك الخير فإن الله يلحقك بآبائك الصالحين.

ثم رفع الحسين عليه السلام يديه إلى السماء وقال: اللهم امسك عليهم قطر السماء وامنعهم بركات الأرض، اللهم فإن متعتهم إلى حين ففرقهم بددًا واجعلهم طرائق قددا، ولا ترضي الولاة عنهم أبداً، فإنهم دعونا لينصروننا ثم عدوا علينا فقتلونا.

روى أبو الفرج: إن الذي قتله حرملاة بن كاهن الأستدي^(١).

بيان: القلنسوة: بفتح القاف واللام وتسكين النون وضم السين قبل الوا ولباس في الرأس معروف (لم يراهاق) أي لم يقارب (بددا) تفريقاً (قددا) أي طرائق متفرقة بحر: بالباء المفردة والحاء المهملة والراء مثلها ابن كعب بن عبيد الله من بنى تميم بن ثعلبة بن عكابة. ويمضي في بعض الكتب ويجرى على بعض الألسن بحر بن كعب وهو غلط وتصحيف.



(١) إبصار العين في أنصار الحسين (ص ٣٨ ط النجف).

زینب تُبکی عمر بن سعد

قال أبو مخنف: عن الحجاج بن عبد الله ابن عمّار بن عبد يغوث البارقي: وعتب على عبد الله بن عمّار بعد ذلك مشهده قتل الحسين فقال عبد الله بن عمّار: إن لي عند بني هاشم ليدا، قلنا: له وما يدك عندهم؟

قال: حملت على حسين بالرمي فانتهيت إليه، فواهله لو شئت لطعنته ثم انصرفت عنه غير بعيد وقلت ما أصنع بأن أتولى قتله يقتله غيري، قال: فشد عليه رجالة من عن يمينه وشماله، فحمل على من عن يمينه حتى أبدعوا، وعلى من عن شماله حتى أذعوا، وعليه قميص له من خزوه معتم، قال: فواهله ما رأيت مكسوراً قط قد قتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جائساً، ولا أمضى جناناً منه، ولا أجراً مقدماً، والله ما رأيت قبله ولا بعده مثله، إن كانت الرجالة لتنكشف من عن يمينه وشماله انكشف المعزى إذا شد فيها الذئب، قال: فواهله إنه كذلك، إذ خرجت زينب ابنة فاطمة أخته وكأني أنظر إلى قرطها يجول بين أذنيها وعاتقها وهي تقول: ليت السماء تطابقت على الأرض، وقد دنا عمر بن سعد من حسين، فقالت: يا عمر بن سعد أقتل أبو عبد الله وأنت تنظر إليه؟

قال: فكأني أنظر إلى دموع عمر وهي تسيل على خديه ولحيته قال: وصرف بوجهه عنها^(١).



(١) انظر مقتل الحسين لأبي مخنف: ٢٠٠.

سلب النساء

قال أبو مخنف: عن جعفر بن محمد بن علي قال: وجد بالحسين عليه السلام حين قتل ثلث وثلاثون طعنة، وأربع وثلاثون ضربة، قال: وجعل سنان بن أنس لا يدنو أحد من الحسين الاشد عليه مخافة أن يغلب على رأسه حتى أخذ رأس الحسين فدفعه إلى خولى، قال: سلب الحسين ما كان عليه، فأخذ سراويله بحررين كعب، أخذ قيس ابن الأشعث قطيفته وكانت من خز وكان يسمى بعد قيس قطيفة، وأخذ نعليه رجل منبني أودي قال له: الاسود، وأخذ سيفه رجل منبني نهشل بن دارم فوقع بعد ذلك إلى أهل حبيب بن بديل.

قال: وما الناس على الورس والحلل والابل وانتهواها.

قال: وما الناس على نساء الحسين وثقله ومتاعه فإن كانت المرأة لتنازع ثوبها عن ظهرها حتى تغلب عليه فيذهب به منها^(١).



(١) انظر مقتل الحسين لأبي مخنف: ٢٠٠.

علم الحسين بما يحصل على الأطفال والنساء

وروي أنه لما عزم الحسين عليه السلام على الخروج من المدينة أتته أم سلمة فقالت: يا بُني لا تحزنني بخروجك إلى العراق فإني سمعت جدك يقول: يقتل ولدي الحسين بأرض العراق في أرض يُقال لها كربلاء.

فقال: يا أمّاه وأنا والله أعلم ذلك وإنّي مقتول لا محالة وليس لي من هذا بدّ وإنّي والله لأعرف اليوم الذي أُقتل فيه وأعرف من يقتلني وأعرف البقعة التي أُدفن فيها وأعرف من يُقتل من أهل بيتي وشيعتي وإن أردت يا أمّاه أريك حفرتي ومضجعي ثمّ أشار عليه السلام إلى جهة كربلاء فانخفضت الأرض حتى أراها مضجعه ومدفنه وموضع عسکره وموقفه ومشهده فبكّت أم سلمة بكاءً شديداً وسلمت أمره إلى الله.

فقال لها: يا أمّاه قد شاء الله عزّ وجلّ أن يراني مقتولاً مذبوحاً ظلماً وعدواناً وقد شاء أن يرى حرمي ونسائي مشردين وأطفالى مذبوحين مقيدين.

قالت أم سلمة: عندي تربة دفعها إلى جدك في قارورة.

فقال: والله إنّي مقتول كذلك وإن لم أخرج إلى العراق يقتلوني أيضاً. ثمّ أخذ تربة فجعلها في قارورة وأعطها إياها وقال: إجعلها مع قارورة جدي فإذا فاضتا دمأ فاعلمي إنّي قد قُلت ^(١).



زینب عند الهجوم على زین العابدین عليه السلام

قال السيد القرشي: وهجم الفجرة الجفاة على الإمام زین العابدین عليه السلام وكان مريضاً قد أنهكته العلة، ومزق الأسى قلبه، فأراد الخبيث الأبرص شمر بن ذي الجوشن أن يقتله فنهره حميد بن مسلم قائلاً له:

«سبحان الله! أُقتل الصبيان؟ إنما هو مريض».

فلم يعن به الوغد، وبادرت إليه العقبيلة عمه زینب عليه السلام فتعلقت به، وقالت: لا يقتل حتى أُقتل دونه فكف اللثام عنه، وقد نجا منهم بأعجوبة، واجتاز على النساء الرجس عمر بن سعد فصحن في وجهه ويکین فمنع الخبيث العسكري من التعرض لهن بسوء^(١).



(١) حیاة الإمام الحسین عليه السلام للقرشی: ٢٠٦/٣.

زینب عند جزع الإمام زین العابدین

وجزع الإمام زین العابدین كأشد ما يكون الجزع حينما رأى جثمان أبيه، وحيث أهل بيته وأصحابه منبوذة بالعراء لم ينبر أحد إلى مواراتها وبصرت به عمتها زینب عليها السلام فبادرت إليه مسلية قائلة:

«ما لي أراك تجود بنفسك يا بقية جدي وأخوتي، فوالله إن هذا لعهد من الله إلى جدك وأبيك، ولقد أخذ الله ميثاق أناس لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض، وهم معروفوون في أهل السماوات، انهم يجمعون هذه الأعضاء المقطعة، والجسوم المضرجة فيوارونها وينصبون بهذا الطف علمًا لقبر أبيك سيد الشهداء لا يدرس أثره، ولا يمحى رسمه على كرور الليالي والأيام، وليجتهدن أئمة الكفر وأشياع الضلال في محوه وطمسه فلا يزداد أثره إلا علوًّا».

وأزالت حفيدة الرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه ما ألم بالإمام زین العابدین من الحزن العميق على عدم مواراة أبيه، فقد أخبرته بما سمعته من أبيها وأخيها من قيام جماعة من المؤمنين بمواراة تلك الجثث الظاهرة، وسينصب لها علم لا يمحى أثره، ويبقى خالداً حتى يرث الله الأرض ومن عليها... وقد جد ملوك الأمويين والعباسيين على محواها وإزالة آثارها، وجهدوا نفوسهم وسخروا جميع إمكانياتهم إلا أنهم لم يفلحوا، ومضى مرقد الإمام شامخاً على الدهر، ومضت ذكراه تملأ رحاب الأرض نوراً وفخراً وشرفاً كأسى صورة تعتز بها الإنسانية في جميع أدوارها^(١).



(١) حياة الإمام الحسين عليه السلام للقرشي: ٢٢٠ / ٣.

زینب عند جثمان الإمام

وقفت حفيدة الرسول ﷺ وابنة أمير المؤمنين ع العقيلة زینب عليها السلام على جثمان أخيها العظيم الذي مزقته السیوف، وجعلت تطيل النظر إليه ورفعت بصرها نحو السماء وهي تدعوا بحرارة قائلة:

«اللَّهُمَّ تَقْبِلْ هَذَا الْقَرْبَانِ».

إن الإنسانية لتنحني إجلالاً وخصوصاً أمام هذا الإيمان الذي هو السر في خلود تضحية الحسين.

لقد تحملت بطلة كربلاء أعباء تلك المحن الشاقة، وتجرعت غصص تلك الأهوال محتسبة الأجر عند الله، وهي تتضرع بخشوع إلى الله أن يتقبل ذلك القرابان.

فأي صبر يماثل هذا الصبر؟

لقد تجلت قوة الشخصية في حفيدة الرسول، وبرزت معاني الوراثة النبوية في مواقفها الخالدة التي صارت بها أهداف الإمام، وأظهرت الواقع في تضحيته، وأنارت

السبيل في بيان أسرار شهادته^(١).



(١) حياة الإمام الحسين للقرشي: ٢٠٧/٣.

زينب عند رؤية رأس الحسين

قال أبو مخنف: فحدثني أبو زهير العبسي عن قرة بن قيس التميمي قال: نظرت إلى تلك النسوة لما مررت بحسين وأهله وولده صحن ولطم من وجوههن، قال: فاعترضتنهن على فرس فما رأيت منظراً من نسوةٍ قط كان أحسن من منظر رأيتهن منهن ذلك، والله لهن أحسن من مهني يبرين قال: فما نسيت من الأشياء لا أنسى قول زينب ابنة فاطمة حين مرت باخيها الحسين صریعاً وهي تقول:

يا محمداه، يا محمداه، صلى عليك ملائكة السماء، هذا الحسين بال العرا،
مرمل بالدماء، مقطع الأعضاء، يا محمداه وبناتك سبايا، وذرتك مقتلة تسفي عليها
الصبا قال: فابتكت والله كل عدو وصديق.

قال: وقطف رأس الباقي فسرح باثنين وسبعين رأساً مع شمر بن ذي الجوشن وقيس بن الأشعث وعمر بن الحاج وعزرة بن قيس فاقبلوا حتى قدموا بها على عبيد الله بن زياد^(١).



(١) مقتل الحسين لأبي مخنف: ٢٢٠.

زينب ليلة الحادي عشر

قال السيد القرشي : قل ما شئت في تصوير المحنـة الكـبرى التي دهـمت عـقـائل النـبوـة في لـيـلةـ الـحـادـيـ عـشـرـ منـ الـمـحـرـمـ ، فإنـكـ لاـ تـسـتـطـعـ تصـوـيرـهاـ وـلاـ اـسـتـيـعـابـ مـأـسـاتـهاـ ، فـلـمـ تـبـقـ رـزـيـةـ مـنـ رـزاـيـاـ الدـنـيـاـ ، وـلـاـ غـصـةـ مـنـ غـصـصـ الـدـهـرـ إـلـاـ جـرـتـ عـلـيـهـنـ ، فـالـأـعـدـاءـ الـجـفـافـ الـذـينـ لـاـ يـمـلـكـونـ أـيـ شـرـفـ أـوـ نـبـلـ قـدـ اـسـتـولـواـ عـلـيـهـنـ ، وـالـحـمـةـ الـأـبـاءـ مـنـ آلـ الرـسـوـلـ ﷺـ قـدـ تـنـاثـرـتـ أـشـلـاؤـهـمـ الزـكـيـةـ أـمـاـهـنـ مـنـ دـوـنـ أـنـ يـنـبـرـيـ أـحـدـ إـلـىـ مـوـارـاـتـهـمـ ، وـالـخـيـامـ قـدـ أـحـرـقـتـ وـنـهـبـ مـاـ فـيـهـاـ مـنـ ثـقـلـ وـمـتـاعـ ، وـسـلـبـ مـاـ عـلـيـهـنـ مـنـ حـلـيـ وـحـلـلـ وـوـصـفـ ذـلـكـ الـمـنـظـرـ الـحـزـينـ الـدـكـتـورـ الـشـيـخـ أـحـمـدـ الـوـائـلـيـ فـيـ رـائـعـتـهـ التـيـ يـقـولـ فـيـهـاـ :

وسجي الليل والرجال ضحايا
واليتامى تشرد وضياع
وبقايا مخبىء من رماد
وزنود قست عليها سبات

أما حفيدة الرسول ﷺ وشقيقة الحسين العليلة زينب ؓ فإنها ما وهنت ولا استكانت أمام تلك الأهوال القاصمة فقد أسرعت لتلتقط الأطفال الذين هاموا على وجوههم في البيداء، وتجمع العيال في تلك البيداء الموحشة، وهي تسليمهم وتصبرهم على تلك الرزايا، وقد أنفقت تلك الليلة ساهرة على حراستهم، وقد هامت في تبارات من الأسى لا يعلم بمداها إلا الله، وقد أدت وردها من صلاة الليل ولكن استولى الضعف عليها فأدتها من جلوس^(١).

(١) حياة الإمام الحسين ؓ للقرشي : ٢١٠ / ٣ .

زينب عند رجوع القوات المسلحة

قال: ومكثت القوات المسلحة في كربلاء يوم الحادي عشر من المحرم فوارت جيف قتلها بين مظاهر الإجلال والتعظيم.

وقد فتحت لها كوة من فيح جهنم يؤجج ضرائمها ولا يخبو نارها تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون.

أما جنة الإمام العظيم والجثث الزواكي من أهل بيته وأصحابه، فقد عمدوا إلى تركها على صعيد كربلاء تسفي عليها الرياح لا مغسلين ولا مكفين.

وأمر ابن سعد حميد بن بكر الأحرمي، فنادى الناس الرحيل إلى الكوفة وسارت قوات ابن سعد بعد الزوال من كربلاء وأعلامها رؤوس العترة الطاهرة التي ثارت من أجل إحقاق الحق، وتوطيد أركان العدل، وقد حملوا معهم نساء الحسين وأخواته ونساء الأصحاب فكن عشرين امرأة ما عدا الصبية.

وقد سيروهن على أقتاب الجمال بغیر وطاء وساقوهن كما يسوق سبي الترك والدليل، ومرروا بهن على جثث القتلى من أهل البيت مبالغة في إيذائهم.

وكان العرب في جاهليتهم الأولى يتتجنبون مرور النساء على قتلائهن إلا أن جيش ابن سعد لم يلتزم بأي خلق، ولم تكن عنده أية عاطفة إنسانية.

ولما نظرت عقائل النبوة إلى جثث القتلى من أهل البيت رفعن أصواتهن بالبكاء، وصاحت حفيدة النبي ﷺ زينب بـ ﷺ بصوت يذيب القلوب:



«يا محمداه هذا حسين بالعراء، مرمل بالدماء، مقطع الأعضاء، وبناتك سبايا، وذرتك مقتلة».

ووجه القوم مبهوتين، وفاضت عيونهم دموعاً، وبكي العدو والصديق^(١).



(١) حياة الإمام الحسين للقرشي: ٢١٩/٣.

خطاب السيدة زينب في الكوفة

قال السيد القرشي : وحينما رأت السيدة زينب عليها السلام حفيدة الرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه وشقيقة الإمام الحشود الراخراة التي ملأت شوارع الكوفة وأزقتها ، اندفعت إلى الخطابة لبلورة الموقف ، وإظهار المصيبة الكبرى التي جرت على أهل البيت وتحميل الكوفيين مسؤولية هذه الجريمة النكراء ، فهم الذين نقضوا العهد ، وخاصوا بالذمة ، فقتلوا ريحانة رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه ثم عادوا بعد قتله ينوحون ويبيكون كأنهم لم يقترفوا هذا الإثم العظيم ، وهذا نص خطابها :

«الحمد لله وصلواته على أبي محمد رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه وعلى آله الطاهرين الأخيار ، أما بعد : يا أهل الكوفة يا أهل الختل والخذل أتباكون؟!! فلا رقات لكم دمعة إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة إنكاثاً ، تتخذون أيمانكم دخلاً ينكتم لا بئس ما قدمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون . أتباكون وتتحبون!! أي والله فابكونوا كثيراً ، واضحكوا قليلاً ، كل ذلك بانتهاكم حرمة ابن خاتم الأنبياء ، وسيد شباب أهل الجنة ، وملاذ حضرتكم ، ومفرع نازلتكم ، ومنار حجتكم ومدرة سنتكم ، الا ساء ما تزرون ، وبعداً لكم ، وسحقاً ، فلقد خاب السعي ، ونبت الأيدي وخسرت الصفة وتوليلتم بغضب الله ، وضربت عليكم الذلة والمسكنة .»

أندرون ويلكم يا أهل الكوفة؟ أي كبد لرسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه فريتم وأي دم له سفكتم ، وأي حرمة له انتهكتم؟ لقد جثتم شيئاً اذا تقاد السماوات يتفترهن منه ، وتنشق الأرض ، وتخر الجبال هدا!!

لقد جثتم بها خرقاء شوهاء كطلاع الأرض ، ومل السماء ، أفعجبتم ان مطرت



السماء دماً ولعذاب الآخرة أخزى، وهم لا ينصرؤن فلا يستخفنكم المهل فإنه لا يحفظه البدار، ولا يخاف فوت الثار وان ريكم لبالمرصاد...».

لقد قرعتهم بطلة كربلاء، بمنطق الصدق وصوت الحق، ودلتهم على نفوسهم الخبيثة، فلم تنخدع بدموعهم الكاذبة، ولم ينطل عليها زورهم وبهتانهم، ونعت عليهم جريمتهم النكراء التي هي أبغض جريمة وقعت في الأرض.. وقد وصفتهم بأخس الصفات التي توصف بها أحط الشعوب، فقد وصفتهم بالختل والغدر، وهما مصدران لأنحطاط الإنسان وشقاوته.

وعلقت سلام الله عليها على بكائهم فقالت: إن من حفهم أن يبكونا كثيراً ويضحكونا قليلاً على عظيم ما اقترفوه من الإثم، فقد قتلوا سيد شباب أهل الجنة وسلميل خاتم النبوة، والمنقذ والمحرر لهم، وفروا كبد رسول الله ﷺ وانتهكوا حرمته، وسبوا عياله، فأي جريمة أبغض أو أقشع من هذه الجريمة؟





صلوى الخطاب

واضطرب الناس من خطاب سليلة النبوة وأيقنوا بالهلاك، وقد وصف خزيمة الأسدى مدى الأثر البالغ الذى أحدثه خطاب العقيلة يقول : لم أر والله خفراً أنطق منها كأنما تفرغ عن لسان الإمام أمير المؤمنين ، ورأيت الناس بعد خطابها حيارى واضعى أيديهم على أفواههم ، ورأيت شيخاً قد دنا منها يبكي حتى اخضلت لحيته وهو يقول : بأبي أنت وأمي كهولكم خير الكهول وشبابكم خير الشباب ونسلكم لا يبور ولا يخزى أبداً إلا أن الإمام زين العابدين قطع على عمه خطابها قائلاً : «اسكتي يا عمّة ، فأنت بحمد الله عالمة غير معلمة ، وفهمة غير مفهمة .. ». فأمسكت عن الكلام ، وتركت المجتمع يمور بالأسى والحزن^(١) .



(١) حياة الإمام الحسين (عليه السلام) للقرشي : ٢٢٩ / ٣.

زينب في مجلس ابن زياد

وأدخلت بنات رسول الله ﷺ وهن في أسر الذل على ابن مرجانة سليل الأرجاس والخيانة وهو في قصر الإمارة وقد امتلاً القصر بالسفكاة المجرمين من جنوده وهم يهنتونه بالظفر ويحدثونه ببطولاتهم المفتعلة في يوم الطف وهو جذلان مسror يهز أعطافه فرحاً، وبين يديه رأس ريحانة رسول الله ﷺ، فجعل الخبيث يبعث به وينكته بمخصرته وهو يقول متشمتاً:

«ما رأيت مثل هذا الوجه قط !!».

ولم ينه كلامه حتى سدد له الصحابي أنس بن مالك سهماً من منطقه فقال له:
«إنه كان يشبه النبي».

والتابع للخيث من كلامه، وكان في المجلس رجل من بكر بن وائل يقال له جابر فانتفض وهو يقول:

«للله علي أن لا أصيّب عشرة من المسلمين خرجوا عليك إلا خرجت معهم».



الطاغية مع عقيلة الولي

ولما روى ابن مرجانة أحقاده من رأس الإمام التفت إلى عائلة الحسين فرأى امرأة منحازة في ناحية من مجلسه وعليها أرذل الثياب وقد حفت بها المهابة والجلال مما حمل ابن زياد على السؤال عنها فقال:

«من هذه التي انحازت ناحية ومعها نساؤها؟».

فأعرضت عنه، وكرر السؤال مرتين فلم تجبه استهانة به واحتقاراً لشأنه، فانبرت إحدى السيدات فقالت له:

«هذه زينب بنت فاطمة بنت رسول الله ﷺ».

فالتابع الخبيث الدنس من احتقارها له واندفع يظهر شماتته بلسانه الألكن قائلاً:

«الحمد لله الذي فضحكم وقتلتم، وأبطل أحدثونكم».

ثارت حفيدة الرسول ﷺ بشجاعة محتقرة ذلك الوضر الخبيث وصاحت به:

«الحمد لله الذي أكرمنا بنبيه، وطهرنا من الرجس تطهيراً، إنما يفتضح الفاسق، ويكتُب الفاجر، وهو غيرنا يا بن مرجانة».

لقد قالت هذا القول الصارم وهي والخفرات من آل محمد ﷺ في قيد الأسر وقد نصب فوق رؤوسهن حراب الفاتحين، وشهرت عليهن سيف الشامتين. وقد أنزلت الطاغية من عرشه إلى قبره، وأطاحت بغلوايه، وعرفته أمام خدمه وأتباعه أنه المفتضح والمنهزم.. فقال ابن مرجانة متشفياً بأحط وأحسن ما يكون التشفي:

«كيف رأيت فعل الله بأخيك؟».

وانطلقت عقبة بني هاشم ببسالة وصمود فأجابته بكلمات الظفر والنصر لها ولأسرتها قائلة:

«ما رأيت إلا جميلاً، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاج وتخاصم فانظر لمن الفلج يومئذ ثكلتك أمك يا بن مرجانة».

وفقد الحقير اهابه من هذا التبكيت الموجع، والتعریض المقدع، وتميز غيظاً وغضباً، وهو أن ينزل بها عقوبته فنهاه عمرو بن حرث، وقال له: إنها امرأة لا تؤخذ بشيء من منطقها، فالتفت إليها قائلاً:

«لقد شفى الله قلبي من طاغيتك، والعصاة المردة من أهل بيتك».

وغلب على العقبة الحزن والأسى من هذا التشفي، والجرأة عليها، وقد تذكرت الصفة الأبطال من أهل بيتها الذين سقطوا في ميادين الجهاد فأدركتها لوعة الأسى فقالت:

«العمري لقد قتلت كهلي وأبديت أهلي، وقطعت فرعبي، واجتشت أصلبي فإن يشفك هذا فقد اشتفيت».

وتهافت ابن مرجانة وسكن غيظه وراح يقول:
«هذه سجاعة. لعمري لقد كان أبوها سجاعاً شاعراً».

فردت عليه زينب: إن لي عن السجاعة لشغلاً ما للمرأة والسجاعة.
ما ألام هذه الحياة وما أخسها التي جعلت ربيبة الوحى أسيرة عند ابن مرجانة
وهو يبالغ في احتقارها وتوهينها.

إن كان عندك يا زمان بقية ^(١) مما يضام به الكرام فهاتهما

(١) حياة الإمام الحسين عليه السلام للقرشي: ٢٣٤/٣.

قال أبو مخنف: حدثني سليمان بن أبي راشد عن حميد بن مسلم قال: دعاني عمر ابن سعد فسرحني إلى أهله لا بشرهم بفتح الله عليه ويعافيته فاقبليت حتى أتيت أهله فاعلمنهم ذلك، ثم اقامت حتى ادخل، فاجد ابن زياد قد جلس للناس واجد الوفد قد قدموا عليه فأدخلهم واذن للناس فدخلت فيمن دخل، فإذا رأس الحسين موضوع بين يديه، وإذا هو ينكت بقضيب بين ثنييه ساعة. فلما رأه زيد بن أرقم لا ينجم عن نكته بالقضيب قال له: أعل بهذا القضيب عن هاتين الثنتين، فوالذي لا إله غيره لقد رأيت شفتى رسول الله ﷺ على هاتين الشفتين يقبلهما، ثم أنفضح الشيخ يبكي، فقال له ابن زياد: أبكى الله عينيك فوالله لولا أنكشيخ قد خرفت وذهب عقلك لضررت عنقك، قال: فنهض فخرج فلما خرج سمعت الناس يقولون: والله لقد قال زيد بن أرقم قولًا لو سمعه ابن زياد لقتله.

قال: فقلت: ما قال؟

قالوا: مر بنا وهو يقول: ملك عبد عبدا، فاتخذهم تلدا، أنت يا عشر العرب العبيد بعد اليوم، قتلت ابن فاطمة وأمرتم ابن مرجانة، فهو يقتل خياركم، ويستعبد شراركم، فرضيتم بالذل، فبعدا لمن رضي بالذل، قال: فلما دخل برأس الحسين (حسين) وصبيانه وأخواته ونسائه على عبيد الله بن زياد لبست زينب ابنة فاطمة ارذل ثيابها، وتنكرت وخف بها اماءها. فلما دخلت جلست.

قال عبيد الله بن زياد: من هذه الجالسة؟ فلم تكلمه، فقال ذلك ثلاثة كل ذلك لا تكلمه.

فقال بعض امانها: هذه زينب ابنة فاطمة، قال: فقال لها عبيد الله: الحمد الذي فصححكم، وقتلتم، وأكذب أحدوثكم.

فقالت: الحمد لله الذي اكرمنا بـمحمد ﷺ وطهرنا تطهيرا لا كما تقول أنت، إنما يفتضح الفاسق، ويکذب الفاجر، قال: فكيف رأيت صنع الله باهل بيتك، قالت: كتب عليهم القتل، فبرزوا إلى مضاجعهم، فسيجمع الله بينك وبينهم، فتحاجون إليه وتخاصمون عنده.

قال: فغضب ابن زياد واستشاط، قال: فقال له عمرو بن حرث أصلح الله الأمير إنما هي امرأة وهل تؤخذ المرأة بشيء من منطقها؟ إنها لا تؤخذ بقول، ولا تلام على خطل، فقال لها ابن زياد: قد أشفى الله نفسي من طاغتيك، والعصاة المردة من أهل بيتك.

قال: فبكـت ثم قالت: لعمري لقد قـلت كـهلي، وابـرت أـهليـ، وقطعـت فـرعـيـ، واجـتـتـ أـصـليـ، فإنـ يـشـفـكـ هـذـاـ فـقـدـ اـشـفـيـتـ.

قالـ لهاـ عـبـيدـ اللهـ: هـذـهـ شـجـاعـةـ، قـدـ لـعـمـرـيـ (قدـ)ـ كـانـ أـبـوـكـ شـاعـرـاـ شـجـاعـاـ.

قـالـتـ: مـاـ لـلـمـرـأـةـ وـالـشـجـاعـةـ، اـنـ لـيـ عـنـ الشـجـاعـةـ لـشـغـلـاـ، وـلـكـنـيـ نـفـشـيـ مـاـ أـقـولـ.

قـالـ أـبـوـ مـخـنـفـ عـنـ مـجـالـدـ بـنـ سـعـيـدـ: إـنـ عـبـيدـ اللهـ بـنـ زـيـادـ لـمـ نـظـرـ إـلـىـ عـلـيـ بـنـ الحـسـينـ قـالـ لـشـرـطـيـ: اـنـظـرـ هـلـ اـدـرـكـ هـذـاـ مـاـ يـدـرـكـ الرـجـالـ؟ فـكـشـطـ اـزـارـهـ عـنـهـ فـقـالـ: نـعـمـ، قـالـ: اـنـطـلـقـواـ بـهـ فـاضـرـبـوـ عـنـقـهـ فـقـالـ لـهـ عـلـىـ إـنـ كـانـ بـيـنـكـ وـبـيـنـ هـوـلـاءـ النـسـوـةـ قـرـابـةـ فـابـعـتـ مـعـهـنـ رـجـلـاـ يـحـافـظـ عـلـيـهـنـ، فـقـالـ لـهـ اـبـنـ زـيـادـ: تـعـالـ أـنـتـ فـبـعـثـهـ مـعـهـنـ.

قـالـ أـبـوـ مـخـنـفـ: وـأـمـاـ سـلـيـمـاـنـ بـنـ أـبـيـ رـاشـدـ فـحـدـثـيـ عـنـ حـمـيدـ بـنـ مـسـلـمـ قـالـ: إـنـيـ لـقـائـمـ عـنـدـ اـبـنـ زـيـادـ حـينـ عـرـضـ عـلـيـهـ عـلـيـ بـنـ الحـسـينـ فـقـالـ لـهـ: مـاـ اـسـمـكـ؟

قـالـ: اـنـاـ عـلـيـ بـنـ الحـسـينـ، قـالـ: اوـلـمـ يـقـتـلـ اللهـ عـلـيـ بـنـ الحـسـينـ؟ فـسـكـتـ، فـقـالـ لـهـ اـبـنـ زـيـادـ: مـالـكـ لـاـ تـتـكـلـمـ قـالـ: قـدـ كـانـ لـيـ اـخـ يـقـالـ لـهـ: اـيـضاـ عـلـىـ فـقـتـلـهـ النـاسـ، قـالـ: إـنـ اللهـ قـدـ قـتـلـهـ، قـالـ: فـسـكـتـ عـلـيـ، فـقـالـ لـهـ: مـالـكـ لـاـ تـتـكـلـمـ؟

قـالـ: اللهـ يـتـوـفـيـ الـأـنـفـسـ حـينـ مـوـتـهـ، وـمـاـ كـانـ لـنـفـسـ اـنـ تـمـوتـ إـلـاـ باـذـنـ اللهـ.

قـالـ: أـنـتـ وـالـهـ مـنـهـمـ، وـيـحـكـ انـظـرـواـ هـلـ اـدـرـكـ؟ وـالـهـ إـنـيـ لـاـ حـسـبـهـ رـجـلاـ، قـالـ: فـكـشـفـ عـنـهـ مـرـىـ بـنـ مـعـاذـ الـأـحـمـرـيـ فـقـالـ: نـعـمـ قـدـ اـدـرـكـ، فـقـالـ: اـقـتـلـهـ، فـقـالـ عـلـيـ بـنـ الحـسـينـ، مـنـ توـكـلـ بـهـلـاءـ النـسـوـةـ وـتـعـلـقـتـ بـهـ زـيـنـبـ عـمـتـهـ فـقـالـتـ: يـاـ بـنـ زـيـادـ حـسـبـكـ مـنـاـ، أـمـاـ روـيـتـ مـنـ دـمـاـنـاـ؟ وـهـلـ اـبـقـيـتـ مـنـاـ أـحـدـاـ؟

قـالـ: فـاعـتـنـقـتـهـ فـقـالـتـ اـسـالـكـ بـالـهـ اـنـ كـنـتـ مـؤـمـنـاـ اـنـ قـتـلـتـهـ لـمـاـ قـتـلـتـنـيـ مـعـهـ، قـالـ:

وناداه على فقال: يا بن زياد إن كانت بينك وبينهم قرابة فابعث معهن رجلاً تقياً يصحبهم بصحبة الإسلام، قال: فنظر إليها ساعة، ثم نظر إلى القوم فقال: عجبًا للرحم، والله إني لأظنها ودت لو إني قتلتها إني قتلتها معه، دعوا الغلام، انطلق مع نسائك.

قال حميد بن مسلم: لما دخل عبيد الله القصر ودخل الناس نودي الصلوة جامعة، فاجتمع الناس في المسجد الأعظم، فصعد المنبر ابن زياد فقال: الحمد لله الذي اظهر الحق وأهله، ونصر أمير المؤمنين يزيد بن معاوية وحزبه، وقتل الكذاب ابن الكذاب الحسين بن علي وشيعته، فلم يفرغ ابن زياد من مقالته حتى وثب إليه عبد الله بن عفيف الأزدي، ثم الغامدي، ثم أحدبني والبة، وكان من شيعة على كرم الله وجهه، وكانت عينه اليسرى ذهبت يوم الجمل مع علي، فلما كان يوم صفين ضرب على راسه ضربة وأخرى على حاجبه فذهبت عينه الأخرى، فكان لا يكاد يفارق المسجد الأعظم يصلّي فيه إلى الليل ثم ينصرف.

قال: فلما سمع مقالة ابن زياد قال: يا بن مرجانة إن الكذاب أنت وأبوك، والذي ولاك وأبوبه، يا بن مرجانة: اقتلون أبناء النبيين وتكلمون بكلام الصديقين، فقال ابن زياد: على به، قال: فوثبت عليه الجلاوزة فأخذوه قال: فنادى بشعار الأزد يا مبرور.

قال: وعبد الرحمن بن مخنف الأزدي جالس فقال: ويع غيرك أهلكت نفسك وأهلكت قومك، قال: وحاضر الكوفة يومئذ من الأزد سبعون مقاتل، قال: فوثب إليه فتية من الأزد فانتزعوه فاتوا به أهله، فأرسل إليه من أتاه به فقتله وأمر بصلبه في السبخة فصلب هنالك^(١).



(١) مقتل الحسين لأبي مخنف: ٢٢٥.

زينب في مجلس يزيد

قال: وسر الطاغية سروراً بالغاً بسبايا أهل البيت فأوقفهم موقف السبي بباب المسجد مبالغة في إهانتهم وإذلالهم وعمدت جلاوزته إلى بنات رسول الله ﷺ وسائر الصبية فريقوهم بالجبال كما تربق الأغنام فكان الجبل في عنق الإمام زين العابدين إلى عنق عمه زينب وبافي بنات رسول الله ﷺ، وكانوا - فيما يقول المؤرخون - كلما قصرروا عن المشي أوسعوهم ضرباً بالسياط، وجاؤوا بهم على مثل هذه الحالة التي تتصدع من هولها الجبال، وهم يكثرون ويهللون فأوقفوهم بين يدي يزيد فالتفت الإمام زين العابدين فقال له:

«ما ظنك بجحدنا رسول الله ﷺ لو براانا على مثل هذه الحالة؟» فتأثر يزيد ولم يبق أحد في مجلسه إلا بكى وقد تألم الطاغية مما رأى فراح يقول:

«قبح الله ابن مرjanة لو كان بينكم وبينه قرابة لما فعل بكم هذا» ثم أمر بالجبال فقطعت عنهم والتفت إلى علي بن الحسين فقال له:

«إيه يا علي بن الحسين أبوك الذي قطع رحمي، وجهل حقي، ونازعني سلطاني، فصنع الله به ما رأيت».

فأجابه شبل الحسين بكل هدوء وطمأنينة بقوله تعالى: «مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّنْ قَبْلِ أَنْ تَتَرَاهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِسِيرٍ لِّكُلِّ نَاسٍ لَا تَأْسُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَقْرَحُوا بِعَمَّا أَنْذَكْتُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ»^(١)

وتميز الطاغية غضباً وذهب نشوة أفراده، وتلا قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصْبَحْتُ مِنْ
مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَبَثَ أَيْدِيكُمْ﴾ فقال له الإمام:

«هذا في حق من ظلم لا في حق من ظلم».

وزوى الإمام بوجهه عنه ولم يكلمه احتقاراً له واستهانة بشأنه^(١).

وقال أبو مخنف عن الحارث بن كعب عن فاطمة بنت علي قالت: لما اجلسنا بين يدي يزيد ابن معاوية رق لنا، وأمر لنا بشيء والطفنا قالت: ثم إن رجلاً من أهل الشام أحمر قام إلى يزيد فقال: يا أمير المؤمنين: هب لي هذه يعنيني، وكنت جارية وضيئه فارعدت وفرقت وظننت أن ذلك جائز لهم وأخذت بثياب اختي زينب، قالت وكانت اختي زينب أكبر مني واعقل، وكانت تعلم أن ذلك لا يكون فقالت: كذبت والله ولو مت ما ذلك لك وله.

فغضب يزيد فقال: كذبت والله إن ذلك لي ولو شئت ان افعله لفعلت، قالت: كلا والله ما جعل الله ذلك لك إلا أن تخرج من ملتنا وتدين بغير ديننا، قالت فغضب يزيد واستطار ثم قال: اي اي تستقبلين بهذا، إنما خرج من الدين أبوك وأخوك.

فقالت زينب: بدين الله ودين أبي ودين أخي وجدى اهتديت أنت وأبوك وجدك، قال: كذبت يا عدوة الله قالت: أنت أمير مسلط تشنتم ظالماً وتقهر بسلطانك، قالت فوالله لكانه استحشا فسكت.

ثم عاد الشامي فقال: يا أمير المؤمنين هب لي هذه الجارية، قال: اعزب، وهب الله لك حتفا قاضيا.

قالت: ثم قال يزيد بن معاوية يا نعمان بن بشير جهزهم بما يصلحهم، وابعث معهم رجلاً من أهل الشام اميناً صالحاً، وابعث معه خيلاً واعواناً فيسير بهم إلى المدينة، ثم أمر بالنسبة أن ينزلن في دار على حدة، معهن ما يصلحهن، وآخرهن معهن علي بن الحسين في الدار التي هن فيها.

(١) حياة الإمام الحسين للقرشي: ٢٥٦/٣.

قال: فخرجن حتى دخلن دار يزيد، فلم تبق من آل معاوية امرأة إلا استقبلتهن تبكي وتندح على الحسين، فاقاموا عليه المناحة ثلاثة، وكان يزيد لا يتغدى ولا يتعشى إلا دعا على بن الحسين إليه.

قال: فدعاه ذات يوم ودعا عمرو بن الحسن بن علي وهو غلام صغير فقال عمرو بن الحسن: اتقاتل هذا الفتى؟ يعني خالدا ابنه.

قال: لا ولكن أعطنى سكيناً وأعطاه سكيناً ثم أقاتله، فقال له يزيد، وأخذه وضمه إليه ثم قال: شئسته أعرفها من آخرم، هل تلد الحية إلا حية.

قال: ولما أرادوا أن يخرجوا علي بن الحسين ثم قال: لعن الله ابن مرجانة، أما والله لو إني صاحبه ما سالني خصلة أبداً إلا أعطيتها إياه، ولدفعت الحتف عنه بكل ما استطعت ولو بهلاك بعض ولدي ولكن الله قضى ما رأيت، كاتبني وانه كل حاجة تكون لك، قال: وكساهم وأوصى بهم ذلك الرسول، قال: فخرج بهم وكان يسايرهم بالليل، فيكونون امامه حيث لا يفوتون طرفه، فإذا نزلوا تنحى عنهم وتفرق هو وأصحابه حولهم كهيئة الحرس لهم، وينزل منهم بحيث إذا أراد انسان منهم وضوء أو قضاء حاجة لم يحتشم، فلم يزل ينازلهم في الطريق هكذا ويسألهم عن حوائجهم ويلطفهم حتى دخلوا المدينة.

وقال الحارث بن كعب: فقالت لي فاطمة بنت علي: قلت لأختي زينب: يا أختي لقد أحسن هذا الرجل الشامي إلينا في صحبتنا فهل لك أن نصله؟

فقالت: والله ما معنا شيء نصله به إلا حلينا، قالت لها: فنعطيه حلينا.

قالت: فأخذت سواري ودمليجي، وأخذت أخي سوارها ودملجهما، فبعثنا بذلك إليه واعتذرنا إليه، وقلنا له: هذا جزاؤك بصحبتك إيانا بالحسن من الفعل، قال: فقال: لو كان الذي صنعت إنما هو للدنيا كان في حل يكن ما يرضيني ودونه، ولكن والله ما فعلته إلا لله ولقرباتكم من رسول الله ﷺ.

قال هشام: وأما عوانة بن الحكم الكلبي فإنه قال: لما قتل الحسين وجيئ بالاثقال والأسارى حتى وردوا بهم الكوفة إلى عبيد الله فبينا القوم محتجسون إذ وقع

حجر في السجن معه كتاب مربوط وفي الكتاب: خرج البريد بأمركم في يوم كذا وكذا إلى يزيد بن معاوية، وهو سائر كذا وكذا يوماً وراجع في كذا وكذا، فإن سمعتم التكبير فايقروا بالقتل وإن لم تسمعوا تكبيرا فهو الأمان إن شاء الله.

قال: فلما كان قبل قدم البريد بيومين أو ثلاثة إذا حجر قد ألقى في السجن ومعه كتاب مربوط وموسى وفي الكتاب: أوصوا واعهدوا، فانما يتظر البريد يوم كذا وكذا فجاء البريد ولم يسمع التكبير وجاء كتاب بان سرح الاسارى إلى، قال: فدعا عبيد الله بن زياد محفز بن ثعلبة، وشمر بن ذي الجوشن فقال انطلقوا بالثقل والرأس إلى أمير المؤمنين يزيد بن معاوية، قال: فخرجوا حتى قدموا على يزيد، فقام محفز بن ثعلبة فنادى بأعلى صوته: جئنا برأس احمق الناس والأهمهم.

فقال يزيد: ما ولدت أم محفز لأم وأحمق ولكنه قاطع ظالم.

قال: فلما نظر يزيد إلى رأس الحسين قال:

يفلقون هاما من رجال أعزه علينا وهم كانوا أعنق وأظلموا
ثم قال: اتدرون من أين أتى هذا؟

قال: أبي علي خير من أبيه، وأمي فاطمة خير من أمه، وجدي رسول الله خير من جده، وإنما خير منه وأحق بهذا الأمر منه، فأما قوله: أبوه خير من أبي فقد حاج أبي آباء، وعلم الناس أيهما حكم له، وأما قوله،امي خير من أمه، فلعمري فاطمة ابنة رسول الله خير من أمي، وأما قوله جدي خير من جده: فلعمري ما أحد يؤمن بالله واليوم الآخر يرى لرسول الله فيما عدلا ولا ندا، ولكنه إنما أتى من قبل فقهه، ولم يقرأ: قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنتزع الملك من من تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قادر.

ثم ادخل نساء الحسين على يزيد، فصاحت نساء آل يزيد وبنات معاوية وأهله وولولن ثم إنهن أدخلن على يزيد، فقالت فاطمة بنت الحسين وكانت أكبر من سكينة: أبنات رسول الله سبايا يا يزيد؟

فقال يزيد: يا ابنة أخي أنا لهذا كنت أكره، قالت: والله ما ترك لنا خرص،

قال: يا ابنة أخي ما أتى إليك أعظم مما أخذ منك ثم اخرجن فادخلن دار یزید بن معاویة، فلم تبق امرأة من آل یزید إلا اتهن واقمن الماتم.

وأرسل یزید إلى كل امرأة ماذَا أخذ لك، وليس منها امرأة تدعى شيئاً بالغاً ما بلغ إلا قد أضعفه لها، فكانت سكينة تقول ما رأيت رجلاً كافراً بالله خيراً من یزید بن معاویة.

ثم ادخل الأسارى إليه وفيهم علي بن الحسين فقال له یزید: إيه يا علي.

فقال علي: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُبَرَّأُوهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِسِيرٍ ﴾٢٣﴿ لَكُنَّا نَأْسَرُ عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَنْهَرُوا بِمَا آتَنَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾^(۱).

فقال یزید: ﴿وَمَا أَصَبَّكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبْتُ أَيْدِيكُثُرٌ وَيَغْفُلُونَ عَنْ كَثِيرٍ﴾^(۲).
ثم جهزه وأعطاه مالاً وسرحه إلى المدينة^(۳).



(۱) مقتل الحسين لأبي مختف: ۲۳۱.

(۲) سورة الحديد، الآية: ۲۲ - ۲۳.

(۳) سورة الشورى، الآية: ۳۰.

خطاب السيدة زينب في مجلس يزيد

وأظهر الطاغية فرحة بآبادته للعترة الطاهرة، فقد حسب أنه قد صفا له الملك واستوست له الأمور فأخذ يهز أعطافه جذلان مسروراً، وتمنى حضور القتلى من أهل بيته ببدر ليريهم كيف أخذ بثارهم وانتقم من النبي ﷺ في ذريته وعترته وراح يترنم بأبيات ابن الزبعرى وهو مزهو:

ليت أشياخى ببدر شهدوا

جزع الخزرج من وقع الأسل	لأهلوا واستهلاوا فرحا
ثم قالوا: يا يزيد لا تشن	قد قتلنا القرم من ساداتهم
وعدلناه ببدر فاعتدل	لعبت هاشم بالملك فلا
خبر جاء ولا وحي نزل	لست من خنده إن لم انتقم

من بنى أحمد ما كان فعل

ولما سمعت بطلة كربلاء هذه الأبيات التي نمت عن كفره وسروره بقتل عترة النبي ﷺ انتقاماً منهم لقتلى بدر وثبت تزجره، وتطعن كبرياءه، غير حافلة بجبروته وطغيانه، فلم يدركها الهول والفزع، وإنما كانت مثال الشجاعة فكأنها هي الحاكمة والمتصرّة، والطاغية هو المخدول والمغلوب على أمره، قالت ﷺ:

«الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على رسوله وآلـه أجمعين، صدق الله سبحانه حيث يقول: ﴿ثُرَّ كَانَ عَنِيقَةً الَّذِينَ أَسْتَوْا الشَّوَّأَيْ أَنْ كَذَّبُوا بِعَايَتِ اللَّهِ وَكَانُوا إِلَيْهَا يَسْتَهِرُونَ﴾^(١) أظنت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض وأفاق السماء، فأصبحنا

(١) سورة الروم، الآية: ١٠.

نساق كما تساق الأساري أن بنا على الله هواناً، وبك عليه كرامة، وان ذلك لعظم خطرك عنده فشمخت بأنفك ونظرت في عطفك جذلان مسروراً حين رأيت الدنيا لك مستوسة والأمور متسبة وحين صفا لك ملتنا وسلطاناً، فمهلاً مهلاً لا تطش جهلاً، أنسنت قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نَمْلَى لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنَّفُسِهِمْ إِنَّمَا نَمْلَى لَهُمْ لِيَرْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِمِّهٌ﴾^(١).

أمن العدل يا بن الطلقاء تخديرك حرائرك وإماءك وسوقك بنات رسول الله ﷺ سبايا قد هتك ستورهن وأبديت وجههن تحدو بهن الأعداء من بلد إلى بلد، ويستشرفهن أهل المناهل والمعاكل ويتصفح وجههن القريب والبعيد، ليس معهن من حماتهن حمي ولا من رجالهن ولி وكيف يرجى مراقبة من لفظ فوه أكباد الأزكياء، ونبت لحمه من دماء الشهداء، وكيف يستبطأ في بغضنا أهل البيت من نظر إلينا بالشنف والشنان والإحن والاضغان، ثم تقول غير متأثم ولا مستعظم:

لأهلوا واستهلاوا فرحاً ثم قالوا: يا يزيد لا تشن
منحنيناً على ثنايا أبي عبد الله سيد شباب أهل الجنة تنكتها بمخضرتك وكيف لا
تقول ذلك؟ وقد نكأت القرحة، واستأصلت الشافة بإراقتك دماء ذرية محمد ﷺ
ونجوم الأرض من آل عبد المطلب، وتهتف بأشياخك زعمت أنك تناديهم فلتרדن
وشيكأً موردهم ولتودن أنك شللت ويكمت ولم تكن قلت ما قلت وفعلت ما فعلت
اللهم خذلنا بحقنا، وانتقم من ظلمنا واحلل غضبك بمن سفك دماءنا وقتل حماتنا.

فوالله ما فريت إلا جلدك، ولا حزرت إلا لحمك، ولتردن على رسول الله ﷺ
بما تحملت من سفك دماء ذريته، وانتهكت من حرمته في عترته ولحمته، حيث يجمع
الله شملهم ويلم شعثهم، ويأخذ بحقوقهم ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَّهُمْ أَنْجَوْا بِأَنَّهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾^(٢).

وحسبك بالله حاكماً، وبمحمد خصيماً، وبحرثيل ظهيراً، وسيعلم من سول لك

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٧٨.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٦٩.

ومكنك من رقاب المسلمين، بئس للظالمين بدلأ وأيكم شر مكاناً وأضعف جنداً.
ولئن جرت علي الدواهي مخاطبتك أني لاستصغر قدرك، واستعظام تقريرك،
وأستكثر توبيخك، لكن العيون عبرى والصدر حرى فالعجب كل العجب! لقتل
حزب الله النجاء بحزب الشيطان الطلقاء، فهذه الأيدي تنظف من دمائنا والأفواه
تحلّب من لحومنا، وتلك الجثث الطواهر الزواكي تنتابها العواasil وتعفرها أمهات
الفراعل ولئن اتخذنا معنماً، لتجدنا وشيكاً مغروماً، حين لا تجد إلا ما قدمت يداك
وما ربك بظلم للمعبد، وإلى الله المستكفي وعليه المعول.

فくだ كيدك، واسع سعيك، وناصب جهدك، فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تميت
وحينا ولا يرخص عنك عارها، وهل رأيك إلا فند وأيامك إلا عدد، وجمعك إلا
بدد، يوم ينادي المنادي ألا لعنة الله على الظالمين.

والحمد لله رب العالمين، الذي ختم لأولنا بالسعادة والمغفرة ولآخرنا بالشهادة
والرحمة، ونسأله أن يكمل لهم الثواب، ويوجب لهم المزيد ويسهل علينا
الخلافة إنه رحيم وودود، وحسينا الله ونعم الوكيل».

وهذا الخطاب أروع خطاب أثر في الإسلام، وهو من متممات النهضة الحسينية
الخالدة، فقد دمرت فيه حفيدة الرسول ﷺ جبروت الطاغية، وألحقت به الهزيمة
والعار، وعرفته أن دعاء الحق لا تتحنى جاههم أمام الطغاة والظالمين، يقول الإمام
كاشف الغطاء:

«أستطيع ريشة أعظم مصور وأبدع ممثل أن يمثل لك حال يزيد وشموخه بأنفه
وزهوه بعطفه وسروره وجذله باتساق الأمور، وانتظام الملك ولذة الفتح والظفر
والتشفي والانتقام - بأحسن من ذلك التصوير والتتمثل - وهل في القدرة والإمكان
لأحد أن يدفع خصميه بالحججة والبيان والتقرير والتأنيب.. ويبلغ ما بلغته سلام الله
عليها بتلك الكلمات وهي على الحال الذي عرفت ثم لم تقنع منه بذلك حتى أرادت
أن تمثل له وللحاضرين عنده ذلة الباطل وعزّة الحق وعدم الاكتراش والمبلاة بالقوة

والسلطة، والهيبة والرعب، أرادت أن تعرفه خسارة قدره، وضعة مقداره وشناعة فعله، ولهم فرعه وأصله».

ويقول المرحوم الفكيكي :

«تأمل معي في هذه الخطبة النارية كيف جمعت بين فنون البلاغة، وأساليب الفصاحة، وبراعة البيان، وبين معانٍ الحماسة وقوة الاحتجاج وحجة المعارضة والدفاع في سبيل الحرية والحق والعقيدة، بصرامة هي أندى من السيوف إلى أعماق القلوب، وأحد من وقع الأسنة في الحشا والمهج في مواطن القتال ومجالات النزال، وكان الوثوب على أنفاس الأفاعي وركوب أطراف الرماح أهون على يزيد من سماع هذا الاحتجاج الصارخ الذي صرخت به ريبة المجد والشرف في وجوه طواغيت بني أمية وفراعتهم في منازل عزهم ومجالس دولتهم الهرقلية الارستقراطية الكريهة».

ثم إن هذه الخطبة التاريخية القاصدة لا تزال تنطق ببطولات الحوراء الخالدة وجرأتها النادرة، وقد احتوت النفس القوية الحساسة الشاعرة بالمثلية الأخلاقية الرفيعة السامية، وسيبقى هذا الأدب الحي صارخاً في وجوه الطغاة الظالمين على مدى الدهر وتعاقب الأجيال وفي كل ذكرى لواقعه الطف الدامية المفجعة»^(١).



(١) حياة الإمام الحسين عليه السلام للقرشي : ٣ / ٢٥٧.

فهرس المحتويات

٥	العقيلة زينب بنت علي في كربلاء
٥	مقدمة :
١٢	بدء المسير إلى كربلاء
١٢	خروج زينب من مكة
١٣	زينب ﷺ في منطقة الخزيمية
١٤	الركب الزينبي في قرية نينوى
١٨	الموكب الزينبي في مكة
١٩	السلطة تلاحق المكوك الزينبي
٢٠	حوادث على الطريق الى العراق
٢٠	فزع السيدة زينب
٢١	انتهاء المسير والوصول الى كربلاء
٢١	نزول ركب آل الرسول ﷺ أرض كربلاء
٢٥	منع الماء عن عترة الرسول ﷺ
٢٦	موقع الخيام
٢٨	وصول الموكب الزينبي الى كربلاء
٣١	يوم عاشوراء



٣١	بداية الحرب
٣٣	أمان الشمر لأخوة زينب
٣٤	منع الامدادات عن أهل البيت
٣٥	احتلال الفرات
٣٦	الطبع اللثيمة
٣٧	العثور على عين ماء
٣٨	القتال على الماء
٣٩	زينب في المأساة الكبرى
٤٠	زحف الجيش
٤٣	تأجيل الحرب إلى الصبح
٤٤	أحداث ليلة العاشر من محرم
٤٤	الحسين ينعي نفسه ويوصي زينب بالصبر
٤٦	الإمام ينعي نفسه
٤٨	زينب تحبي الليل بالعبادة
٥٠	رؤيا الإمام الحسين
٥١	فرع عقائل الوحي
٥٢	أحداث يوم عاشوراء من المحرم
٥٣	دعا الإمام
٥٤	خطبة الإمام
٥٥	بكاء النساء والأطفال
٥٩	خطبة الإمام الحسين في كربلاء

٦٤	الهجوم العام
٦٥	محاولة الشمر لحرق نساء وأطفال حرائر الوجي
٦٦	إنكار حميد بن مسلم
٦٧	فرع النساء عند أول حرق للخيام
٦٩	الأمان لأخوة زينب
٧١	زينب عند بدء الحرب
٧٤	دور زينب عند مقتل أهل البيت ﷺ
٧٤	مقتل عترة الرسول ﷺ
٧٥	أول شهيد من عترة رسول الله ﷺ
٧٨	مقتل إخوة زينب
٧٨	أبو بكر بن علي ؓ
٨٠	عثمان بن علي ؓ
٨١	جعفر بن علي ؓ
٨٢	عبد الله بن علي ؓ
٨٣	مقتل العباس بن أمير المؤمنين ؓ
٨٦	فضيلة شهادة العباس ؓ
٨٨	بصيرة العباس
٨٩	شأن و منزلة أبي الفضل العباس
٩٠	مقتل أطفال آل الرسول ؓ
٩٠	زينب عند قتل الطفل الرضيع
٩٣	مقتل طفل آخر للحسين ؓ

٩٤ مقتل طفل الإمام الحسن <small>عليه السلام</small>
٩٦ جيش الخلافة يهجم على خيم النساء
٩٧ صرخة زينب عند آخر قتال الحسين <small>عليه السلام</small>
٩٨ مقتل سبط النبي <small>عليه السلام</small> برواية أبو مخنف
١٠٠ جيش الخلافة يسلب نساء وأطفال الحسين
١٠١ وطئي الخيل لجسد الحسين <small>عليه السلام</small>
١٠٢ شهادة أبناء زينب بنت علي <small>عليها السلام</small>
١٠٢ شهادة عون بن عبد الله
١٠٣ شهادة محمد بن عبد الله بن جعفر
١٠٤ شهادة عبيد الله بن عبد الله جعفر
١٠٥ موقف لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب عند مقتل بنيه
١٠٦ روايات أخرى لمقتل أهل البيت <small>عليهم السلام</small>
١٠٦ شهادة أخوة زينب برواية أخرى
١٠٧ العباس مع اخواته
١٠٨ قول رخيص
١٠٩ مصرع عبد الله ابن أمير المؤمنين
١١٠ مصرع جعفر
١١١ مصرع عثمان
١١٢ زينب عند مصرع العباس
١١٨ مصرع محمد الأصغر
١١٩ مصرع أبو بكر

١٢٠	مصرع العباس الأصغر
١٢١	زينب عند مصرع الإمام الحسين
١٢٣	استغاثة الإمام
١٢٤	مصرع الرضيع
١٢٦	صمود الإمام
١٢٨	زينب عند الهجوم على الخيم
١٣٠	الخطاب الأخير
١٣١	الإمام يطلب ثواباً خلقاً
١٣٣	توديع الإمام الحسين لأهل بيته
١٤١	مناجاة الإمام لله تعالى
١٤٢	الهجوم على الإمام وخروج زينب العقيلة
١٤٤	زينب عند الفاجعة الكبرى
١٤٦	رواية مقتل الحسين عن الإمام الصادق
١٥٦	زينب ليلة العاشر
١٥٨	زينب عند شهادة علي الأكبر
١٦٤	رواية ابن مخنف لمقتل أولاد زينب
١٦٦	إرسال عبد الله بن جعفر أولاده لنصرة الحسين
١٦٨	زينب عند مقتل عبد الله بن الحسن
١٧٠	زينب تُبكي عمر بن سعد
١٧١	سلب النساء
١٧٢	علم الحسين بما يحصل على الأطفال والنساء



١٧٣	زينب عند الهجوم على زين العابدين <small>عليه السلام</small>
١٧٤	زينب عند جزع الإمام زين العابدين
١٧٥	زينب عند جثمان الإمام
١٧٦	زينب عند رؤية رأس الحسين
١٧٧	زينب ليلة الحادي عشر
١٧٨	زينب عند رجوع القوات المسلحة
١٨٠	خطاب السيدة زينب في الكوفة
١٨٢	صدى الخطاب
١٨٣	زينب في مجلس ابن زياد
١٨٤	الطاغية مع عقبة الوحى
١٨٩	زينب في مجلس يزيد
١٩٤	خطاب السيدة زينب في مجلس يزيد
١٩٨	فهرس المحتويات



مَوْسُوعَةُ تَارِيْخِ زَيْنَبَ بَنْتِ الْكَبِيرِ

شَهَادَاتُ الشَّاهِدَاتِ زَيْنَبَ بَنْتِ عَلِيٍّ عَلَيْهَا السَّلَامُ

مَا أَسْنَدَهُ زَيْنَبَ بَنْتِ عَلِيٍّ عَلَيْهَا السَّلَامُ

السَّيْدَةُ زَيْنَبَ بَنْتِ عَلِيٍّ عَلَيْهَا السَّلَامُ وَفَضْلُهَا

كُونُ فَاطِمَةَ وَزَيْنَبَ مِنْ ذُرِّيْتَ النَّبِيِّ

زَيْنَبَ فِي كَرْبَلَاءَ

رَحْلَةُ زَيْنَبَ مَعَ السَّبَّا

مَوَاقِفُ وَمَحَطَّاتُ فِي حَيَاةِ

السَّيْدَةِ زَيْنَبِ بَنْتِ عَلِيٍّ عَلَيْهَا السَّلَامُ

